دار العالم الجديد
القاهرة ص.ب ١٨٤٩

اليهودية
في
العقيدة والتاريخ

- نشوء العقيدة الدينية
- قصة الخلق
- قصة الطوفان
- برج بابل

تأليف
عصام الدين حفني ناصف

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الاولى (اغسطس ١٩٧٧)

نشوء العقيدة الدينية

١

حيرة الانسان البدائى

جاوز الانسان البدائى أولى مراحل تطوره ، وسار فيه شوطا آخر نمت خلاله مقدرته على التفكير والتعبير ، فجعل يرقب ما بين يديه من ظواهر الطبيعة • وقد انتشر عليه رأيه من جراء ما يعتور هذه الظواهر من تغيرات راتبة دورية أو عنيفة فجائية ، فجعل يسائل نفسه عن مولد اليوم ومماته : كيف ينتشر ضوء الفجر بعد السحر اللجينى ثم يمتد الصبح حتى يصير نهارا بينا ويرتفع الضحى وتحم الظهيرة ثم يأخذ صهدان الشمس يفتر رويدا رويدا حتى المغيب فيبين الشفق العسجدى ؟ وهذا القمر يتسق بدرا ثم لا ينفك يتضاءل أمام ناظريه حتى يستخفى محاقا ؟ وهذه النجوم الزاهرة المنتثرة والشهب المندثرة والكسوف والخسوف ؟ وهذه الفصول الأربعة تتخالف ألوانها وتتميز خصائصها ؟ وهذه السحب المدفوعة وما تسحه من أمطار ؟ وقوس قزح ، تلك التى تتراءى فى اليوم المطير ؟ وهذا السيل الجارف والجدول النساب يترقرق ماؤه

زلالا ، والبركة الساجية لا يغشى الموج صفحتها فهى تعكس طلعة الناظر الدهش ، وهذا البحر لا يدرك الطرف مداه ، والمد والجزر ؟

وهذه الازهار ذات الأرج المنعش ، والغابات الكثيفة تصوت فيها فيرتد اليك رجع الصدى ؟ والريح العصوف تقتلع الاشجار وتقلقل الاحجار ، وجلمود الصخر يحطه السيل من عل ؟ والبروق الملعلعة والرعود المدوية يصم هزيمها الاسماع ؟ وهذه الجبال المكللة قللها بالجليد الناصع تندلع من فوهاتها ألسنة النيران ؟ كل شيء من ذلك يبدو له وكأنما تضطرب فيه قوى وتأثيرات هى وان لم تدركها الحواس حقائق ماثلة .

وبعد هذا كله أعجوبة الولادة وغموض سر الموت ؟ ورؤى المنام ؟ يرى البدائى اذا غشيه النعاس أنه يجول ويصول فى غابته المحبوبة ويصرع حيوانا مكتنزا فيمتلأ شبعا وريا من لحمه الشهى ، ثم يهب من نومه فاذا هو لم يزل ، حيث رقد ، يتضور من أوار العطش وسعار الجوع .

كانت تلك كلها أمورا غامضة تخفى عليه ، فقد استترت عنه طبائع الأشياء واستبهمت لديه الأسباب والنتائج ولم يتوافر له من العلم ما يصل به بين العلة والمعلول فى عالم المنظور .

وأهل جزائر ما لينزيا يدعون القوة الغامضة غير الشخصية « مانا » Mana ، فاذا وفق أمرؤ فى القتال فانما يرجع الفضل فى تفوقه الى مانا روح أحد الموتى الشجعان واذا أصاب امرؤ نجاحا مرموقا فى زراعته أو فى تربية ماشيته فذلك أيضا من المانا الكامنة فى بعض الاحجار أو فى التمائم المناطة بعنقه أو فى خصلة أوراق النبات التى يزين بها حزامه • ويتحدث أهل مراكش عن « البركة » فهناك أشياء : آبار وينابيع ومغارات لها خاصة تبث الخصب فى الارض أو تهب لورادها وحجاجها البرء من الاسقام • وقد كان سلاطين مراكش يمنون على رعاياهم ببركتهم • وكان الانجليز الى عهد قريب يعزون الى ملوكهم قوة سحرية ، فهم يستطيعون بلمسة اليد أن يبرئوا المصابين بالداء الخنزيرى المسمى داء الملوك (١) • ومازال الفلاحون فى البلدان الكاثوليكية كايطاليا وبعض أقاليم فرنسا يؤمنون بأن للقساوسة سلطانا على الرياح والامطار والفيضانات والاوبئة والحرائق ، وبأن للبابا مقدرة غامضة على غفران الخطايا والآثام وعلى اصدار المنشورات المعصومة

(١) وقد مارست الملكة اليزابث هذه الموهبة طويلا • وعالج تشارلز الأول ذات مرة مئة مريض دفعة واحدة • ولمس تشارلز =

والتشفع الى الله . والناس أشد تعلقا بأذيال الأباطيل والترهات حيث الطبيعة صاخبة والحياة غير مستقرة تفتقر الى أسباب الأمن والطمأنينة ، ومن ثم كان أقل تغير عن الحالة المألوفة لدى الملاحين والبدو الرحل يورثهم الفزع والهلع . ورب رهبة عرت الناس فأوحت اليهم الايمان بقوة شيء أو مكان ما مثل بيت ايل (٢) حيث بات يعقوب ليلة هربه من أخيه عيسو فى طريقه الى خاله لابان الأرامى .

كانت الرهبة تستبد بالانسان البدائى ويملك عليه الوجل لبه فيخيل اليه أن لكل شيء مما يكتنفه ذكاء وأن هذه الظواهر الطبيعية انما تحدثها كائنات موفورة الفطنة واسعة المقدرة تبغى بصنيعها انجاز أغراض خاصة لا نعلمها . ان الطفل

= الثانى خلال حكمه ما يربى على مائة ألف ، وكان القوم ينثالون عليه من كل وجه ويتدافعون فى سعيهم اليه حتى زهقت حياة بعض منهم وطئا بالاقدام . وظلت الحال على هذا المنوال حتى ولى الحكم وليم الثالث فصدف عن هذا المسلك الزرى . ا

(٢) كان اسرائيليو الشمال يعدون بيت ايل أكثر بلاد الأرض قدسية ، شأنه شأن أورشليم فى نظر جيرانهم الجنوبيين ، وعندهم أن هذا الموضع هو المدخل الى الهيكل الذى فى السماء ، وربما كان ذلك كذلك لأن سفح الجبل هناك مدرج كأنه سلم ضارب الى السماء ولهذا فان يعقوب

« رأى حلما واذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء . وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها» تكوين ٢٨ : ١٢ =

يحسب دميته ذات حياة حين تتحرك آليا فهو يتحدث اليها ، وقد كان الإنسان البدائى فى طفولة البشرية يفكر على هذا النحو ، ومن ثم خلع مخه البدائى على قوى الطبيعة المحيطة به مثل ما للبشر من ذكاء وارادة وجعل يتوهم أحيانا أن لها هيئة كهيئة البشر ، كما حباها بالروح ، ولكأنما هى من البشر • وقد هيمنت هذه العقيدة على حياته ، وما زال أثرها فى عقولنا باقيا لم يزل ، فلقد يتعثر المرء منا فى كرسى فاذا هو قد ركله • وبيننا من يعرض للأحداث السعيدة التى تتمخض عنها نواميس الطبيعة فيذكرها على أنها عناية ربانية ومرحمة الهية •

= وقد يعزى هذا الحلم الى تأثره بمنظر الجبل الشامخ والى خوفه من أخيه عيسو الذى كان يطلب حياة يعقوب لأنه خدع أباهما اسحق عن نفسه وسرق منه البركة التى كان قد أعدها لابنه الأكبر عيسو •

« فاستفيظ يعقوب من نومه وقال حقا ان الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم ، وخاف وقال ما أرهب هذا المكان • ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء • وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه واقامه عمودا وصب زيتا على رأسه » • تكوين ٢٨ : ١٦ ـ ١٨

أى على رأس العمود ، وقد فعل ذلك تقدمة للألوهية الحالة به •

٢
الـروح

فسـر الانسان البدائى بعض ما يخفى عليه أمـره من هذه الظاهرات بأن له روحـا أى جسمـا لطيفـا حالا بجسده ولكنه مستقل عنه قابل لأن يزايله فى أيـة لحظة ويمـارس نشـاطه فى أمـاكن أخـرى ٠ وهذه النظرة « اروحانية » هـى أساس الـدين ٠ لقـد كـان يقرن بين النسمـة والنسمـة ويرى أن « الريح » ان هى الا « روح » (٣) كبيرة ترضى فتكون نسيما بليلا ينفح أو تسـخط فتـكون ريحا سمومـا تلفح ٠ وعنده ان المرء اذا تراءى له فى نـومه صديقـا فهو انما رأى روح ذلك الصديق لا شخصه ٠

وقـد فطن الـى أن الموتى لا يتنفسون فتـوهم أن « النفـس » (بفتـح الفـاء) هـو « النفـس » (بتسكين الفـاء) أى الروح ، ثـم خيـل اليـه أن من ينم نومـا عميقـا ينقطع تنفسه كذلك فتوهم أن

---

(٣) ونرى فى العربية كما فى العبرية أن كلمتى «ريح» و «روح» صنوان ، فان كلمة ريح فى العربية أصلها روح (بكسر فسكون) ولهذا تجمع على أرواح ، ومن ذلك قول ميسون بنت بجدل الكلبية امرأة معاوية حين نقلها زوجها من البدو الى الحضر فى مطلع قصيدة لهـا ٠

تبيت تخفق الارواح فيـه ... أحب الى من قصر منيف

روحه تفارقه بعض الوقت ثم تعود اليه [illegible] بألا يوقظه فجأة لئلا تلتى الروح عنتا فى العودة اليه ، ثم قال فى نفسه : لئن كانت الروح ترتد الى النائم انها لحرية أن ترتد الى الميت ، وهكذا لاحت فى ذهنه فكرة البعث ، وجعل ـ تبعا لذلك ـ يعنى بدفن موتاه وايداع قبورهم ما قد يحتاجون اليه من أغذية وأكسية وآنية ، واشتط بعض ذوى الثراء فى ذلك فجعلوا يقتلون نساء من مات من أقربائهم وجياده وكلابه ويدفنونها معه لعله يفتقدها عند قيامته من الموت ٠

وقد كان يغلب عنده أن يكون موطن الروح فى الرأس وأن يكون مخرجها عند الموت من الأنف أو الفم (٤) فى أثناء التنفس ، كما حدث لراحيل (٥) امرأة يعقوب ، وأن يكون مدخلها منهما الى الجسم اذا ارتدت اليه الحياة كما حدث لابن الأرملة التى كانت تعول ايليا ٠

---

(٤) ولهذا كان العرب يقولون : مات فلان « حتف أنفه » أو « حتف فيه » أى مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب ٠

(٥) هى أم يوسف وبنيامين وقد لفظت روحها وهى تضع وليدها الأخير على طوار الطريق ٠

« وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت أن دعت اسمه بن أونى ٠ وأما أباه فدعاه بنيامين » تكوين ٣٥ : ١٨

« فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش » ١ ملوك ١٧ : ٢٢

وهو شبيه بما حدث للرجل الطينى

« ونفخ فى أنفه نسمة حيوة فصار آدم نفسا حيـة » (٦) تكوين ٢ : ٧

وبما حدث فى الطوفان

« كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مـات » تكوين ٧ : ٢٢

وعند البدائى أن العطاس أذان بأن الروح تعـالج دخـول الجسم أو الخروج منه ، ومن ثم كان عطاس المريض نذيرا بدنو أجله أو بشيرا بأن العافية تثوب اليه (٧) كما حـدث عندمـا رد اليشع الحياة الى ابن المرأة صاحبة مثواه ٠

---

(٦) نقل محمد بن جرير الطبرى فـى الجـزء الأول مـن كتـابه « تاريخ الأمم والملوك » عن عن ٠٠٠ عن ابن عباس أنه قال : فلما نفخ الله الروح ودخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ، فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمـار الجنة ، فذلك حين يقـول « خلق الانسان مـن عجل » الانبياء ٣٧ ، فلما تمت النفخة فى جسـده عطس فقال « الحمد لله رب العالمين »بالهام الله فقال الله« يرحمك الله يا آدم »٠

(٧) ولهذا جـرى الناس على أن يشمتوا العاطس أى أن يتمنوا له الصحة والعافية ويدعوا له ألا يكون فى حالة يشمت به فيها ، وذلك بأن يقول هو على أثر عطاسه « الحمد لله » فيقال لـه « يرحمك الله » ٠

« ودخل اليشع البيت واذا بالصبى ميته ومضطجع على سريره . فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى الى الرب . ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسم الولد . ثم عاد وتمشى فى البيت تارة الى هنا وتارة الى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات ثم فتح الصبى عينيه » ٢ ملوك ٤ : ٣٢ ـ ٣٥

وكان البدائى اذا حضرته الثؤباء يضع يده على فمه متخذا منها حاجزا يحول دون خروج الروح من جسده أو دخول عدو روحى اليه (٨) . لقد ذهبت به أوهامه الى مايعرف الآن باسم المذهب الحيوى animism أو مذهب حيوية المادة القائل بأن لكل شىء فى الكون ، حتى الكون عينه ، روحا هى المبدأ الحيوى المنظم له ، وقو صور له هذا المذهب :

١ ـ أن له جسدا وروحا

٢ ـ أن لكل شىء مما حوله روحا كروحه

٣ ـ أن من هذه الأرواح ما يبغيه الخير ومنها ما

---

(٨) وقد ورثنا ذلك عن تلك العقيدة بعد أن درست فلسفتها ، فترى السيد المهذب فى هذه الأيام اذا ما أوشك أن يعطس أثبت على فمه منديلا يحول دون أن تتناثر منه الجراثيم فيتأذى به الجليس أو المجاور ومن السنن النبوية أن يضع المرء عندما يدركه العطاس على فمه باطن يده اليمنى أو ظاهر يده اليسرى .

والى هذه الأرواح غير المرئية التى تزخر بها بيئته كان يعزو مختلف الظواهر ، فما وميض البرق وهزيم الرعد وهبوب الريح واندفاق المطر وزلزلة الأرض عند الا أفاعيل آلهة غضبى وشياطين ناقمة (٩)

وكان يعتقد أن الروح تظل فى الجسم ما ظل الجسم صحيحا متماسكا فاذا دب اليه التحلل والفساد زايلته الروح (١٠)

وكان يعتقد أن الروح بعد مباينتها للجسد تحوم حوله زمنا ما ، ولذلك كان أهل الميت يتنكرون بلبس ثياب الحداد وبتغيير معالم الأثاث فى البيت وبتعفير وجوههم وحلق شعورهم وتجليل رءوسهم بالرماد لينبههم الأمر على روح الميت المتحررة من جثمانه ، ثم « يصوتون » صوات المكروبين ليذعروا الروح ويروعوها فترحل . وما فتىء المحافظون على

---

(٩) ولا يزال بين الناس من يتشبث بتلك المعتقدات القديمة : بالأرواح الشريرة والجان وما اليها . وأكثر القصص الخرافية التى يسامر بها الأطفال مؤسس على مخلفات المذهب الحيوى .

(١٠) ولهذا كان قدماء المصريين يمارسون التحنيط ليضمنوا بقاء الروح فى الجسد ، فكان التحنيط منسكا دينيا يراد به ما يشبه احياء الموتى ، وكانوا يضعون جثمان الميت فى محلول النطرون عدة أسابيع ثم يحشونه بالقار . وبسمى فى الفارسية « مومياى » ولهذا أطلقوا على الجثة المحنطة اسم « موميا »

التقاليد القديمة) من اليهود الى اليوم يغيرون اسم مريضهم اذا تبلغت به العلة ليبعثوا الحيرة والارتباك فى الروح الشريرة التى أورثته الوصب ٠

وهـذه العادات والتقـاليد التى كـان يمارسهـا العبريون القدماء ما زالت حتى اليوم باقية لم يعف عليها الزمن غير أن معانيها لم تعـد واضحـة فـى الأذهان فالناس يمارسونها خالفا عن سالف دون تفكير وتمحيص ٠

الطوطم والتـابو

كان البدائى يعتقـد ٠

١ ـ أن الروح بعد بينونتها عن صاحبها تبدو فى زيه (هيئته) ، وبذلك وجدت الثنائية dualism من الجسد والروح

٢ ـ وانها قـد تنقلب صورتها الى صورة حيوان ما ، ومن هنا نشأت أساطير المخلوقات التى كـانت اناسى ثم مسخت حيوانات

٣ ـ أن اللحم يحتوى مـادة الروح التـى ينطوى عليهـا الحيوان ، فـراح يتوهـم أن المـرء يكتسب خصائص الحيوانات التى يغتذى بلحومها ، وكـان ذلك من أسباب تحريـم لحـم الخنزير عند اليهود ٠

وكان كل امرىء يؤثر برعايته حيوانا ما ويعده حارسا له ويحس بصلة وثيقة تربط بينهما حتى ليستحرم قتله ويرى أكل لحمه ضربا من أكل لحم البشر • ومن هذا المعتقد تولدت الطوطمية وهى ضرب من عبادة الانسان البدائى لحيوان (أو نبات)يحسب أن بينهما آصرة رحم وقربى •

ومن الطوطمية نشأت عقيدة تقمص الأرواح ويبدو أنه كان لكل قبيلة فى تلك العهود الموغلة فى القدم طوطم (١١) حيوانى واحد على الأقل تقدسه وتنظر اليه على أنه الروح الحارسة لها وأنه منبع قوتها ومصدر البركة الحالة بها وترى الاقامة فى جواره من صالح الأعمال ، وكان هذا الطوطم كأنه رمز للقبيلة وشعار يوحد بين أفرادها اذ يتوهمون أنهم منحدرون من سلالته أو أنهم على الأقل تربطهم به آصرة قربى (١٢)

كان الطوطم يعد مقدسا ونجسا فى آن واحد ،

---

(١١) totem لفظ بلسان أهل أوجبواى معناه أسرة •

(١٢) ومن ثم كانت كل أسرة من أسر نبلاء أوربا فى القرون الوسطى تتخذ من رسم أحد الحيوانات شعارا يسمون به أعلامهم وأعتدتهم ومركباتهم وما الى ذلك •

ولعل فى ذلك أيضا ما يفسر تسمية الناس بأسماء الحيوان عند كثير من الأمم ، وقد سمى العرب أبناءهم باسم فهد ونمر وببر وأسامة (أى أسد) وضيغم وكليب وجحش الخ •

وكانت تحميه بريعة الـ « تابـو » (١٣) أى شريعة التحريم ، فمن المحرم عليهم قتله وأكل لحمه ، وهذا منشأ التابو الغذائى .

وقد بقيت فكرة الاضراب عن أكل بعض الطواطم سائدة فى بعض المجتمعات ، فالبقرة تابو عند الهنود ، والخنزير تابو عند اليهود ، وانما يضرب اليهودى الورع عن أكل لحم الخنزير لأن أسلافه الأقدمين منذ خمسة آلاف سنة أو ستة الاف كانوا يتخذون الحلوف (١٤) البرى طوطما لهم ، ولا صلة لهذا الاضراب بما يحتج به حاخامو اليهود المحدثون من أسباب صحية ، فان الكتاب المقدس لم يذكر أية حادثة فشا فيها وباء أو نجم فيها مرض من

---

(١٣) يطلق أهل بولنيزيا لفظ تابو tabu على ما يحرم عليهم مسه من الأشياء بسبب قداستها أو نجاستها . ويرى بعضهم أن يترجم هذا اللفظ بكلمة « لامساس » من قول موسى للسامرى ينتهره لصنعه العجل الذهب .

« فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس » طه ٩٧

واليهود يعدون المرأة فى حال الطمث (الحيض) وعقب الولادة « تابو » فمن مسها لحقته النجاسة وحق عليه التطهر ، وهكذا أصبحت المرأة تستشعر العار يجللها حين تحيض وحين تحمل ، ومن هنا نشأ الحياء والخفر والنظر الى العلاقات الجنسية على أنها نجس .

(١٤) أى الخنزير ، وهى كلمة عامية مصرية يقال انها من أصل بربرى .

جـراء أكـل لحم غير طاهر ، ولا غرو فى ذلك فهـو ينظـر الى المرض على أنه رجس من عمـل الأرواح والشياطين ٠

وقد كان الحمل طوطما لاحدى القبائـل الكنعانيـة ، وكان عيد الفصح عند الكنعـانيين عيـدا يقربـون فيه حملا لالـه من الآلهة المحليين ، ثـم اصبح هـذا الطوطم بعد ذلك « حمل بسكال » فى الدين المسيحى ٠

٤

التمائـم والأوثـان

كان البدائيـون اذا طـاف بأحدهم طـائف مـن مرض أو حـل بـه المـوت عزوا ذلك الى الأرواح الماثلـة فى كـل ما يكتنفهم ، ولهذا كانـت تـلك الأرواح حريـة بأن تسترضـى ٠

وازدادت الآراء الدينيـة على الزمن تعقدا واعتياصا وغـدت الأرواح عسيرة المأتـى ، فبـدت الحاجـة الى انقطـاع فئة من النـاس لمباشرة هذه الأمـور والتعمق فى اكتنـاه أسرارهـا ٠ وبـدأ التخصص فلم يبق كل امرىء كاهن نفسه بـل أخـذ آبـاء الأسر الكبيـرة ورؤسـاء العشـائر الصغيرة علـى عواتقهم تصريف أمـور الشـعائر والاحتفـالات الدينيـة وغدوا بذلك ملوكـا وكهنـة معـا ، ومـا فتئت الأفـكار الدينية تزداد زخرفـا حتى غـدا

الكاهن الملك هو المثوى الذى تحل به روح القبيلة ولهذا كان قمينا أن يعبد الها ، وهكذا ـ فى أغلب الظن ـ نشأ الحق الالهى للملوك • وكان من أثر هذه العقيدة فى بعض الشعوب أن درجوا على قتل الملك اذا ما علت به السن ووهن منه العظم ليفسحوا للاله أن يثوى فى جسد شاب موفور الفتوة جم النشاط حديد العزم عظيم الهمة • وكان الملك فى بعض الأحيان يفتدى نفسه بابنه فيقتلون ابن الملك ويقولون انهم قتلوا ابن الاله •

وفى خلال ذلك تخلقت فى بطء فئة من الناس تجردت لمعالجة الامور الروحية ، كانوا يتلقون تدريبا طويلا ويلقن كل منهم ابنه ما أوتى من حكمه • وخبر هؤلاء الكهنة البدائيون عنت الحميه عن الطعام فى أوقات الجدب وعلموا أن المخمصة تورث الخبال وتطلق الحناجر بالهذيان ، وبلوا كذلك فعل المخدرات فى اطلاق الأعنة للأخيلة والأوهام فاستعانوا بها وبالصوم على التجلى ، فكانت تعتريهم نوبات من الدروشة وتنطلق ألسنتهم بأصوات غريبة وألفاظ غير ذات معنى فيتوهم من حولهم من السذج أن الأرواح قد

حلت بهم وأنها هى التى تنطق بألسنتهم (١٥) فيسرى الرعب فى أوصالهم فيبذلون بعض ما يملكون ليشتروا به أمنهم وسلامتهم ٠

كان البدائى يتوسل الى دفع الأرواح الشريرة بتلاوة الأدعية واقامة الصلوات وحمل الخرز وعد حبات السبح واناطة التمائم وهى شىء تثوى فيه روح صديقة ذات بأس ونشاط ، فاذا ما حمل المرء التميمة « حجبت » عنه أذى الأرواح الشريرة ، وما « الحجاب » الذى ينوطه المرء عليه فى وقتنا هذا الا صورة متأخرة من التميمة ٠

---

(١٥) وليس بعيدا عن ذلك ما كان من مريدى المسيح بعدما رفعه الله الى السماء ٠ وقد فطن بولس الرسول بما أوتى من سعة الثقافة الى أن تصايح أتباعه لم يكن حديثا بلغات أجنبية كما كان يتوهم بطرس

« وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا »

أعمال الرسل ٢ : ٤

وانما هو استجابة عاطفية لتهوس هستيرى ، بيد أنه لم يكن بستطيع كبح هذا التهوس فى صراحة ولهذا اجتزأ بالتهوين من شأنه قائلا

« لأن من يتنبأ أعظم ممن يتكلمون بألسنة »

١ كورنثوس ١٤ : ٥

(١٦) وقد بلغ من هول هذا الرعب أن مات امرؤ فرقا ورعبا عندما تهدده الساحر بازهاق روحه ٠ لقد زعم أولئك الكهنة الأولون أنهم أوتوا مقدرة خاصة على رياضة الأرواح ٠

ولا تزال كثيرات من نساء أوربا يلبسن القلائد والتمائم لاستدرار المعونة مما وراء الطبيعة ولاتقاء ما عسى أن يكون مخبوءا لهن فى عالم الغيب .
ولا يزال كثير من رجال الشرق يحملون السبح لأسباب هى فى بعض الأحيان قريبة من ذلك .

وقد أضفت صناعة التمائم قدسية على الذين انفردوا بصنعها وهم الكهنة . واستغل الكهنة الدين لأغراضهم الخاصة وعملوا على استدامة الخرافات بين شعوبهم لتظل تابعة فى غيابة الجهل فيسهل عليهم خداعها واخضاعها وابتزاز أموالها . وقد أيقظت الخرافات فى الناس المطامع الحمقاء وأثارت فيهم النزعات الهوجاء وسيرت موكب البشرية أحقابا مديدة مسخرا فى أشغال شاقة لا خير فيها ولا جدوى منها . ولو أن أولئك الناس بذلوا فى سبيل البشر ما بذلوه فى سبيل آلهتهم تلك لكنا الآن نتفيأ ظلال حضارة خير من حضارتنا وأرقى .

وما لبث الناس أن انتقلوا من تميمة الفرد خاصة الى تميمة القبيلة عامة وكانت بادىء بدء تتخذ من الروح الباسق والجلاميد الضخام ، تلك هى الأوثان idols فى أبسط أشكالها . وعندما اتخذ الناس الأوثان أربابا يتوسلون بها

الى ما فيه صلاحهم بدأ « الدين » . وقد نجمت الأديان الأولى من الاتحاد بين العقيدة والمنسك .

ولما ارتقى القوم شيئا ما عمدوا الى مسح أوثانهم هذه بالزيت (١٧) ثم خطوا خطوة أخرى فأصبحوا يخضبونها بالدم لتطيب الأرواح التى تسكنها بذلك نفسا فتظل حالة بها لا تريم ، ثم تفتقت أذهانهم عن خطة جديدة فغدوا يقتلون الانسان وينحرون الحيوان ويقربونهما لأوثانهم ، وبذلك نشأ منسك التضحية (*) وكان أهم المناسك الدينية طرا عند جميع الشعوب فى تلك الأعصر السحيقة فى القدم ، وبه فسر أول حادث قتل فى العالم اذ فتك هابيل بقايين (قابيل) لان يهوه تقبل قربان قايين وكان من اللحم وأشاح عن قربان هابيل وكان من النبات .

كان الفينيقيون والقرطاجنيون (١٨) ومن اليهما من الشعوب السامية يقدمون القرابين البشرية

---

(١٧) وقد مسح (بضم الميم) كل من هرون وشاول وداود وسليمان ويسوع بالزيت .

« أمريض أحد بينكم . فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب » يعقوب ٥ : ١٤

(*) وتناظر هذه الكلمة فى الانجليزية كلمة sacrifice وهى تتركب من لفظين لاتينيين هما sacer أى مقدس و facere ومعناه يصنع أو يجعل

(١٨) كانت قرطاجنة فى القرن الثالث الميلادى أشد مدائن البحر الأبيض المتوسط ثراء ، وقد بنى تلك المدينة قوم هاجروا =

للاله ملخ (بضم الميم) ـ أى الملك ، وعندما حصرت مدينة قرطاجنة سنة ٣٠٧ق٠م حرق أهلها على مذبح هذا الاله مئتى غلام من أبناء السراة ٠ وكانوا فى سورية اذا ماحزبهم أمر يحرقون بعض الأطفال ثم أصبحوا يكتفون بختنهم أو ببذل قدر من المال قربانا لبعل أو عشتورت ٠

لقد رتع الآلهة فى لحوم البشر ردحا من الدهر ، فلما ارتفعت الحضارة وغدا الناس يبدون امتعاضهم من التحضية بأفلاذ اكبادهم انصرف الآلهة عن لحم الانسان الى لحم الحيوان ونرى صورة لذلك فى قصة ابراهيم حين يمسك عن ذبح ابنه اسحق ويفتديه بكبش ٠

٥

الآلهة

وما عتم الناس أن آثروا الاقتصاد فى الوقت واليسر فى العبادة فانتهجوا طريقة الأعمال الكبيرة وذهبوا الى أن هناك الها أعظم يهيمن على الآلهة الصغار ٠ كان كهنة سوريا يعترفون بالالة

= من مدينة صور ، كان أهلها على صلة باليهود الأقدمين من حيث الدم والملامح والزى ، وكانوا اباحيين فيما يتصل بالعلاقات الجنسية ٠ ومن آلهتهم بعل هامان واسم بطلهم هانيبال يعنى الفضل لبعل ٠ (ملخص عن كتاب قصة الحضارة بقلم ول ديورنت)

الأعظم « الـو » (المشابة لالوهيم اليهود) فى الوقت الذى كانـوا يعبدون فيه الاله « بعل » وكانوا فى بابل فى عصر بختنصر ومن قبله ينادون بأن « مردك » (بضم الدال) هو الاله الخالق دون أن يمحو ذلك عباده سائر الآلهة ، فالاعتراف بالالهه الخالق ليس هو الاقرار بالوحدانيـة ٠

وأخلت أديـان الآلهـة المتعددة والأصنـام الكثيرة الطريق آخـر الأمـر للايمان بالـه واحـد لا يجشـم الخلق عنـاء الحج اليـه فى موطن بعينه بـل يجدونه أينما ولوا وجوههم لأنه حـال بكل مكـان ٠ وزعـم كل شـعب أن الههم هذا هو الذى أنـزل عليهـم شريعتهم ، فالاله «شمش» اله الشمس هو واضع قانون حمورابى ملك بابل و « أهورا ـ مزدا » هو الذى حبـا زرادشت بالناموس فى فارس حين راح هذا يصلى فوق جبـل شـاهق و « زيوس » هو الذى أعطـى الملك منيوس فوق جبل دكتا (بكسر الدال) الشريعـة التى حكمت بمقتضاها جزيرة كريت وهلم جرا ٠

السـحر عند الوثنيين

الآن ، وقـد اكتسـب الذكـاء الانسانـى حـدة وازدادت المعرفـة البشريـة سـعة ، أصبحنا نعلم عن يقين أنـه ما من صلة بين سلوك الانسـان

وظواهر الطبيعة ، فمهما بلغ امرؤ أو شعب من سوء السيرة ولؤم السريرة ومهما أتى هذا المرء أو هذا الشعب من المناكر وطالح الأفاعيل (١٩) فلن يحدث ذلك زلزالا أو يعقب طوفانا أو يحبس السماء فتجدب الأرض ، ونعلم كذلك أن الصاعقة قد تنقض على الطيب والخبيث بدرجة سواء ، فالطبيعة لا ترمى الى هدف معلوم وانما هى تنتج بلا غرض وتحطم بلا سبب ٠

وقد كان البدائيون على غير بصر بما نعرفه اليوم من بواعث المرض ، فالأمراض كلها ترجع عندهم الى ماوراء الطبيعة ولادواء لها غير السحر ٠ لقد كانوا لا يعرفون حدا تقفّ عنده قوى الروح فى ايلاء الشر وايتاء الخير ، ولذا عملوا على تألفها بالابتهال اليها ، ومن هنا نشأت صلاة الوثنيين وسائر شعائرهم واحتفالاتهم الدينية وفشت عبادة الأرواح وازلافَ القرابين لها والتفنن فى اقناع الأرواح الخيرة بمديد المعونة اليهم ، وذلك أصل السحر وهو فن الاستعانة بقوى وطاقات من وراء الطبيعة غير منظورة وذلك لبلوغ أغراضَ مخصوصة يتعاصى بلوغها بالوسائل الطبيعية المألوفة والأساليب المنطقية المعروفة ،

---

(١٩) الأفعولة : الأمر العجيب يستنكر ٠

ويتم ذلك باتيان حركات معلومة وترديد كلمات مرسومة ٠

ويقوم السحر على مبدأين أساسيين يكونان معا ما يمكن تسميته بالسحر العاطفي sympathetic magic وهذان المبدآن هما :

١ ـ السحر بأشباه الأشياء homoeopathic magic

ينتج الشيء ما يشبهه وتأتي النتائج من جنس المقدمات ، فاذا عرف الساحر المحنك بخبرته أن المطر وشيك الانهمار شرع يستسقي للقوم وذلك بأن يسكب بعض الماء على الثرى ويقعقع (٢٠) قارورة فيها حصى ٠ فيحدث ذلك صوتا يحاكي ما يصحب المطر من هزيم ٠

ولقد كانوا فى انجلترا الى عهد قريب يعالجون الرمد بنباب الفراسيون eyebright لان زهرته تشبه العين ، وكانوا فى ألمانيا يعالجون اليرقان بأشياء صفراء فاقع لونها كالذهب والزعفران ٠

٢ ـ السحر بما بين الأشياء التى ينفصل أحدها عن الآخر من صلة غير مقطوعة contact magic

ان الأشياء التى كانت مرة موصولا بعضها ببعض تحتفظ بقوة تفاعل بينهما حتى بعد أن تنفصم تلك الصلة ، ولهذا يتخذ « أثر » الشخص وسيلة للكيد له والنيل منه ٠

(٢٠) قعقع الشيء اليابس الصلب : حركه مع صوت ٠

٧

السحر عند العبريين

سار العبريون فيما يتصل بأوهامهم ووساوسهم الدينية على النهج الذى سارت عليه سائر العشائر البدائية فبدءوا بتعاطى السحر ٠ وقد رووا وقائع كثيرة أنجز فيها السحر ما أريد منه وخلفوا « وصفات » شتى لكيفية قتل امرىء أو ايذائه بالسحر ولطريقة اجتذاب المحبوبة الى من يهواها وحملها على أن تطارحه الهيام ٠

والكتاب المقدس حافل بالشواهد على ايمان اليهود بالسحر ٠

فعندما احتشدت جحافل الفلسطينيين لذود الغزاة من بنى اسرائيل وطفق الكهنة يكيدون شاول ويزعمون له أن الرب حال عن مودته وكف عن نصرته تلبد الجو فى وجهه وأعيت عليه معالجة الخطر الخارجى والداخلى فى آن ، وأراد أن يستخير (٢١) ربه فاذا هو قد تجمدت قريحته وتبلدت مخيلته حتى استعصى عليه أن يرى رؤيا يفسرها بما تشاء له وساوسه وأوهامه ، ولم يجد بدا من الانصراف الى الجان

---

(٢١) استخار : طلب الخيرة ، يقال « استخر الله يخر لك » أى اطلب منه أن يختار لك ما يوافقك ٠

عوضا عن الآلهة واللواذ بالسحرة بدلا من الأنبياء ٠

« فقال شاول لعبيدة فتشوالى على امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان فى عين دور ٠ فتنكر شاول ولبس ثيابا أخرى وذهب ٠٠٠ فقالت المرأة من أصعد لك فقال أصعدى لى صموئيل (٢٢) ٠ فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم ٠ وكلمت المرأة شاول قائلة لماذا خدعتنى وأنت شاول (٢٣) فقال لها الملك لا تخافى(٢٤) فماذا رأيت ٠ فقالت

---

(٢٢) هو صموئيل الرائى أى الذى ينظر ، وهو نبى « لأن النبى اليوم كان يدعى سابقا الرائى » ١ صموئيل ٩ : ٩

وهو آخر من حكم بنى اسرائيل قبل تحررهم من الحكومة الدينية الفاسدة وتمليكهم شاول عليهم

وقد حاول عليه السلام أن يبسط نفوذه على شاول فلما أبدى شاول بعض التسخط والتأبى شن صموئيل عليه حربا شعواء

وهو الذى عناه القرآن فى قوله

« وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ٠٠٠ » البقرة ٢٤٧

(٢٣) ومن عجب أن المرأة لم تعرفه أول وهلة وهو الفارع الطول الذى زاده الله بسطة فى الجسم « من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب » ١ صموئيل ٩ : ٢

(٢٤) هو هنا يهدىء روعها ويسرى عنها ، لما عرف عنه من تعقب المشتغلات بالسحر ، اذ أنه كان ـ تلبية لرغبة الكهنة =

المرأة لشاول رأيت آلهة (٢٥) يصعدون من الارض · فقال لها ما هى صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة · فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الارض وسجد · فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتنى باصعادك اياى · فقال شاول قد ضاق بى الامر جدا ··· فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدى وقد شق المملكة من يدك وأعطاها لقريبك (٢٥م) داود » ١ صموئيل ٢٨ : ٥ ـ ١٧

وليست تعزب عنا تلك المباراة التى قامت بمشهد من فرعون بين سحرة مصر وبين النبيين اليهوديين الوافدين من مدين فى احالة العصى حيات

= فى التخلص من منافسيهم ـ قد اصطلم السحرة ومسخرى الجان والتوابع (والتابع هو الجنى يتبع الانسان حيث ذهب) فلم يبق منهم غير هذه المرأة لحاجة القصة اليها ·

(٢٥) استعمل الكاتب العبرى هنا كلمة الوهيم خطأ وهو يريد رفاييم ومعناها أشباح الموتى ، فالذى رأته الساحرة اذن هو شبح صموئيل (أى روحه) ولهذا فهو يعقب على كلامها سائلا ما هى صورته ؟

(٢٥م) كلمة « قريبك » هنا يراد بها الأخوة فى الدين والجنس لا قرابة الرحم ·

وثعابين ولنا أن نعد من هذه البابة ما حدث في برية سينا حين أبدى بنو اسرائيل الآبقون (٢٦) من مصر تذمرهم من التيه الطويل في تلك المفاوز (٢٧) الوعرة التي مكثوا يضربون فيها أعواما دون أن يجدوا سبيلا منها الى خروج واستبشاعهم الطعام المسيح (٢٨) الذى كتب عليهم أن يتجرعوه وهم لا يكادون يسيغونه(٢٩)وتأذيهم من الحيات التي وقعوا بين أنيابها فما انفكت تتخنهم لدغا حتى بدا لموسى أن يجتزىء بما أصابهم وأن يكف عنهم هذا الأذى ٠

« فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا » ٠ عدد ٢١ : ٩

وقد سحق هذه الحية بعد ٨ قرون حزقيا بن آحاز ملك يهوذا بين ما حطمه من أصنام وأنصاب ٠

---

(٢٦) الآبق : العبد الهارب ٠ أبق : هرب من سيده ٠

(٢٧) المفازة : الصحراء و ـ المهلكة و ـ الفلاة لا ماء فيها وقد سميت بهذا الاسم (من مادة فاز) من قبيل تسمية الشيء بضد معناه على جهة التفاؤل أو على جهة التطير من اسمه كتسمية « القافلة » على حين أنها ذاهبة لا قافلة ٠

(٢٨) المسيخ : الطعام الذى لا ملح له ولا لون ولا طعم

(٢٩) أساغ الطعام : سهل مدخله فى الحلق وساغ له دخوله فيه ٠

« ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه »٠٠ ابراهيم ١٦ ـ ١٧

« هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى اسرائيل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان »
٢ ملوك ١٨ : ٤

هذا وقد فصلت الأسطر الأولى من سفر التكوين كيف سلك الله فى خلق الكون نهجا يذكرنا بصنع السحرة

« وقال الله ليكن نور فكان نور » تكوين ١ : ٣

ويغنينا عن المزيد من الاستشهاد أن يهوه نفسه قال صريحا

« لاتدع ساحرة تعيش » خروج ٢٢ : ١٨

وهى الآية الكريمة التى أزهقت بمقتضاها حياة الألوف من البشر متهمين بجرائم لم يكن فى طوقهم أن يقارفوها ٠

وقد ظل السحر عالى الشأن عميق الأثر حتى القرون الوسطى ٠ وكان الأقدمون يؤمنون أن ممارسة السحر عمل اختصت به النساء دون الرجال أو أن الغلبة لهن فى ممارسته ، ولهذا كانت كثيرة المتهمين بممارسته من النساء ، والنساء فى نظر الاكليروس مفطورات على الشر (٣٠) ٠

(٣٠) وقد انتقل هذا الظن الى العرب ٠ ومن ثم قيل فى بيان سبب نزول الآية ٠ =

٥ الساحرة فى صورتها المحدثة امرأة وثيقة الصلة بالشيطان لها مقدرة على اتيان الخوارق تحلق بين آن

= « ومن شر النفاثات فى العقد » الفلق ٤

أن يهوديا يدعى لبيدا كان يحسد النبى على ما آتاه الله ، فاستعان ببناته فى الاضرار به فأتين بخيط فعقدن فيه احدى عشرة عقدة وأخذن ينفثن فيها وينفخن فيها بشىء يقلنه من غير ريق فأحس بأنه قد لحقه بعض الاذى حتى كان يفعل الشىء ويظن أنه لم يفعله ، فأعلم الله نبيه بالمكيدة وأنزل عليه المعوذتين (وهما سورة الفلق وسورة الناس ، وقد أسميتا بذلك لأن كلا منهما تبدأ بكلمة « قل أعوذ ») ومجموع آياتهما احدى عشرة وأوحى اليه أن يتعوذ بهما فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال

وقد أحصينا المرات التى وردت فيها كلمة « السحر » ومشتقاتها فى القرآن فوجدناها ٦٣ مرة ووردت فيه كلمة « الجن » و « الجان » و « الجنة » ٣٩ مرة وكلمة « الشيطان » ٧٠ مرة وكلمة « الشياطين » بصيغة الجمع ١٨ مرة

وورد فيه ما فسروه بأن سليمان كان قد جمع كتب السحر ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين عليها اليهود فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم ، وتعلموا كذلك ما أنزل على الملكين هاروت وماروت وهما ـ على تفسير ابن عباس ـ ساحران من الناس كانا يعلمان الناس السحر أو ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس ٠

« واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هروت وماروت ٠٠٠ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ٠٠٠ »

البقرة ١٠٢

وآخر فى الهواء فيما بين الجمعة والسبت من ليالى الاسبوع ممتطية مكنسة ذات عصا ، فتؤم ندوات مختلفة تتنادى فيها الساحرات فوق قنن الجبال الشاهقة لتجديد البيعة للشيطان واظهار الولاء له. وتخرج الساحرة الى رحلتها هذه لا جهرة من باب البيت بل خفية من ثقب المفتاح أو من مدخنة المدفأة ، ويرقد فى فراشها فى أثناء غيبتها شيطان من الشياطين الصغيرة الشأن متخذا زيها . ويحضر الندوة شيخ الشياطين فى هيئة جدى ذى رأسين فيمضين اليه يلثمنه ويرقص لفيف منهن عاريات بين يديه ، ثم يقبلن جميعا على الطعام والشراب على حين يجوس هو خلالهن متفحصا باحثا عن العلامة التى كان قد وسمهن بها .

وكان على من تقرف بممارسة السحر أن تعترف بجريرتها فان لم تفعل طوعا أجبرت على ذلك كرها ، فاذا تجنت على نفسها استنجاء من سوء العذاب لم يكف الزبانية عن تعذيبها ، اذ أن الاعتراف المطلوب منها لا يصح أن يقتصر على ما يتصل بشخصها بل يجب أن يتناول كذلك كل من تعرف (المتهمة) أنهن حلائف الشيطان ، ومن ثم كانوا يستأنفون تعذيبها ولا يمسكون عن اذاقتها أنكى ضروب التعذيب حتى تدلى بأسماء من شهدت فى ندوة الساحر من أهل القرية (أو الحى) أو بصفاتهن ، فيشد عليهن

وتستنطق كل منهن بالطريقة عينها فتعترف على نفسها ثم تدلى بما يعن لها من أسماء وهلم جرا ٠ وكان يقال للزوج وهو يعلم أن زوجته لم تفارق فراشه ، أن ضجيعته فى تلك لم تكن حليلته حقابل كانت شيطانا يتزيا بزيها ٠ وكان المألوف أن يخنقوا الساحرات بأيديهم فيمتن دون أن تهرق دماؤهن ثم يحرقوا جثثهن فينبعث منها قتار (٣١) كذلك الذى ينبعث من محرقات اليهود ٠

وقد عبد الساحر الطريق أمام الحبر (٣٢) اليهودى ، وليس ذلك بالأمر الذى يعسر فهمه ، فهما صنوان ولدا معا وشبا وترعرعا معا ولبثا معا يعيشان على خرافات ما وراء الطبيعة ويمارسان وظيفتهما باقامة شعائر ومناسك خاصة بكل منهما ، فالساحر يستعين الرقى والعزائم على اخضاع القوى التى

---

(٣١) القتار : دخان ذو رائحة خاصة ينبعث من الطبخ أو الشواء أو العظم المحروق أو البخور ٠

(٣٢) الحبر بالفتح ، وهو بالكسر أفصح لأنه يجمع على أفعال : الصالح من العلماء ٠ الحبر الأعظم : رئيس البيعة الكاثوليكية ورئيس كهنة اليهود ٠

وقد ذكر اسرائيل ولفنسون فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » أن هذه الكلمة عبرية الأصل اذ معناها « الرفيق » وقد كانت تطلق فى العصور الأولى على كل عضو من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية « الفروشيم » ثم لما تغلبت هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر

تعلو قوة البشر واملاء ارادته عليها ، على حين يتوسل رجل الكهنوت الى هـذه القوى بدعوته اياها بألفاظ مهذبة • وهذا الفرق بين الاسلوبين وليد التبـاين العقلى والثقافى بين الساحر ورجل الدين ، وكذلك بين جمهور هذا وجمهور داك ، وثم فى بعض الأحيان ما يشبه أن يكون تعاونا بين الطائفتين ، اذ أن بين رجـال الكهنوت من يدللون على صدق مزاعمهم حول عالم ما وراء الطبيعة وخلود أرواح البشر وصـدق المعجزات المنسوبة الى أنبياء بنى اسرائيل (كوقف الشمس والقمر عن الدوران) بما يروجـه السـحرة ومحضرو الارواح المحدثون من الاضاليل وما يدعـون اتيانه من الخوارق والاعاجيب،وكذلك بين المشعوذين من يستشهدون على صحة دعاواهم فى فعل السحر وتسخير الجان قديما وحديثا بما ورد فى هذا المعنى من آى الكتاب المقدس •

وقد نشأ الدين اليهـودى مشوبـا بالوسـاوس والأوهـام التى كـانت تهيمن علـى أولئك البـدو البدائيين ، ولم يكن فى أول مراحله غير أمشاج (٣٣)

---

(٣٣) مشج الشىء : خلطه ، يقال مشج بينهما • المشـيج كل شيئين مختلطين أو كـل لونين اختلطا ج أمشاج
« انا خلقنا الانسـان مـن نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعـا بصيرا »

من الأساطير والوصايا أى التابوات المؤسسة على المذهب الحيوى والسحر العاطفى ولهذا كان يتضمن أوامر ونواهى تغمض حكمتها على القارىء ما لم يكن على بصر بما كان للايمان بالسحر من دخل فى تحبير هذه الأقوال ٠

« لا تزرع حقلك صنفين لئلا يتقدس الملء الزرع الذى تزرع ومحصول الحقل ٠ لا تحرث على ثور وحمار معا ٠٠٠ لا تلبس ثوبا مختلطا صوفا وكتانا معا » تثنية ٢٢ : ٩ ـ ١١

ولهذا جرت جمهرة القراء على أن تغضى عنها وتجاوزها الى ما يليها
أنظر ـ مثلا ـ الى ما يتصل بالاحصاء الذى أجراه داود

« وعاد فحمى غضب الرب على اسرائيل فأهاج عليهم داود قائلا امض واحص اسرائيل ويهوذا ٠٠٠ فكان اسرائيل ثمان مئة ألف رجل ذى بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمس مئة ألف رجل (٣٤) وضرب داود قلبه

---

(٣٤) وبذلك تكون جملة مقاتلة اليهود ١ر٣٠٠ر٠٠٠ وهذا يعنى ان عدة بنى اسرائيل بلغت اذ ذاك زهاء ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ وهو رقم مفرط فى المبالغة

بعدما عد الشعب . فقال داود للرب لقد أخطأت جدا فى ما فعلت . والآن يارب أزل اثم عبدك لأنى انحمقت جدا ... فجعل الرب وبأ فى اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع سبعون ألف رجل ». ٢ صموئيل ٢٤ : ١ ـ ١٥

١ ـ فلما احتاج الاحصاء الى « اهاجة » داود ؟

٢ ـ ولماذا استحمق داود نفسه بعدما عد الشعب ولماذا عرض له أنه أغضب الرب (أى الكهنة) ؟

٣ ـ ولماذا استبد به الفزع حتى لدم (٣٥) صدره ؟

٤ ـ وما هو هذا الاثم الذى سأل الرب أن يزيله ، والذى وجب أن تكون تحلته ٧٠,٠٠٠ رجل ؟

ألا انها لأمور يعجز العقل المنطقى المتحضر عن استكناه أسبابها وبعييه الاهتداء الى سرها لأن مفتاحها انما هو فيما يزعمونه من التفاعلات السحرية العاطفية كما سنرى من بعد .

هذا وفى مناسك العبريين ، غير ما تقدم ، أمور كثيرة يعيا بها الفهم ويكل عنها النظر الا أن يهتدى الى جذورها فى ألفاف (٣٦) الأساطير ، ومن ذلك اتخاذ الطلاسم والعوذات استجلابا لليمن واناطة

---

(٣٥) لدم فلانا : لطمه أو ضربه بشىء ثقيل يسمع وقعه ، ويقال لدمت المرأة صدرها ووجهها

(٣٦) اللف : البستان المجتمع من الشجر

التمائم تحرزا من قوى الشر ، والابتهال والصلاة والجثو على الركبتين والصيام عن تناول بعض الأطعمة الخ الخ ٠

٨

التابو وليد الايمان بالسحر

تكشف لنا أساطير (٣٧) « العهد القديم » وأقاصيصه (٣٨) عن كثير من معتقدات الاسرائيليين الغابرين ، ومنها نتبين فرط تخبط أولئك القوم في دياجير الجهالة ، ولنضرب لذلك مثلا قصة يونان(٣٩) وهو الذى يعرفه العرب باسم يونس ٠

---

(٣٧) الأسطورة هى فيما يقول العرب كلمة مأخوذة مما يسطر أى يكتب ، وأغلب الظن أن هذه الكلمة ليست عربية بل معربة عن الأصل اللاتينى المتأخر الذى أخذت منه اللغة الانجليزية كلمتى story أى حكاية و history أى تاريخ ٠ وقد وضع الأقدمون الأساطير ليفسروا بها بعض الظواهر الغامضة وغير ذلك كما سيأتى بعد ٠

(٣٨) وضع المحدثون كلمة « قصة » يعنون بها الأحدوثة (الحدوته) وهى الحكاية النثرية الطويلة تستمد من الخيال أو من الواقع ، وتجمع القصة على قصص وجمع الجمع أقاصيص ٠

وقد توهم بعض الكتاب المحدثين أن واحدة الأقاصص هى أقصوصة قياسا على أساطير وأسطورة وأكاذيب واكذوبة الخ وهو خطأ شائع فان كلمة « أقصوصة » لا وجود لها فى اللغة ، ومثل أقاصيص فى هذا أقاويل فليس لها مفرد على زنة افعولة ٠

(٣٩) وعلى ما بين أجزاء من هذه القصة ومثيلتها فى أساطير =

« وصار قول الرب الى يونان بن أمتاى قائلا ٠ قم اذهب الى نينوى (٤٠) المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى ٠ فقام يونان ليهرب الى ترشيش (٤١) من وجه الرب فنزل الى يافا ٠ ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم

= الهند واليونان من مشابه ، فانه يغلب على ظن الباحثين أن يونان هذا شخص حقيقى كان يعيش فى منتصف القرن الثامن فى عهد يربعام الثانى ملك اسرائيل ، فقد جاء فى سفر الملوك (وهو من آثار القرن السابع أو السادس ق٠م) أنه تنبأ بأن ذلك الملك سيبسط رقعة مملكته من حماه الى البحر الميت ٠

« هو رد تخوم اسرائيل من مدخل حماة الى بحر العربة حسب كلام الرب اله اسرائيل الذى تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاى النبى الذى من جت جافر »
٢ ملوك ١٤ : ٢٥

(٤٠) عاصمة مملكة أشور موقعها على نهر دجلة ٠

(٤١) هى منطقة الوادى الكبير فى الأندلس وقد أوطن بها الفينيقيون فكان سمكها ومعادنها ، وبخاصة الفضة ، ينبوع ثراء لهم ، وقد ذكرها سفر أخبار الأيام عند استعراضه عظمة الملك سليمان ووفرة ماله ٠

« لأن الملك كانت له سفن تذهب الى ترشيش مع عبيد حيرام ، فكانت سفن ترشيش تأتى مرة فى كل ثلاث سنين حاملة ذهبا وفضة وعاجا وفروة وطواويس »
٢ أخبار الأيام ٩ : ٢١

الى ترشيش من وجه الرب (٤٢) فأرسل الرب ريحا شديدة الى البحر فحدث نوء (٤٣) عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تتكسر · فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد الى الهه ··· وقال بعضهم لبعض هلم نلقى قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية · فألقوا قرعا فوقعت القرعة على يونان ·

··· فقالوا له ماذا نصنع بك ليسكن البحر عنا ، لأن البحر كان يزداد اضطرابا · فقال لهم خذونى واطرحونى فى البحر فيسكن البحر عنكم لأننى عالم أنه بسببى هذا النوء العظيم عليكم (٤٤) ·

---

(٤٢) ويتضح من ذلك أن يونان كان كسائر بنى جلدته يعتقد أن سلطان الرب المحلى يهوه محدود باقليم معين هو الذى يعمره بنو اسرائيل ، فاذا غادر هو هذا الاقليم أفلت من قبضة الرب وتحرر من واجباته قبله ·

(٤٣) النوء : النجم اذا مال للغروب · يقابل هذه الكلمة فى الترجمة الانجليزية tempest أى عاصفة أو زوبعة ·

(٤٤) وهذا يدل على أنه كان يعانى عقدة الذنب ، وأنه هو وركب السفينة وملاحوها ذوو الدربة والحنكة كانوا يجهلون أن اهتياج الجو واضطراب البحر والتطام الموج من سنن الطبيعة ويرون فى كل أولئك عقابا الهيا على اثم اقترفه أحد أفراد الجماعة · فوجب على سائر أفرادها أن يظاهروه بتحمل نصيبهم من الجزاء الوبيل ما دام يعيش بين ظهرانيهم · وأدهى =

... ثم أخذوا يونان وطرحوه فى البحر فوقف البحر عن هيجانه . فخاف الرجال من الرب خوفا عظيما وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذورا . وأما الرب فأعد حوتا (٤٥) عظيما ليبتلع يونان . فكان يونان فى جوف الحوت ثلثة أيام وثلث ليال » .

يونان ١ : ١ ـ ١٧

هذا ، وقد سجل « العهد » فى طياته غير قليل من المعتقدات المؤسسة على المذهب الحيوى والسحر العاطفى ، ارتضاها أحبار بنى اسرائيل وأدمجوها فى أسفارهم المقدسة :

= من ذلك أن البحر نفسه اعتقد أن من واجبه أن يرغى ويزبد حتى يلقوا اليه بعروس البحر .

(٤٥) كلمة « حوتا عظيما » يقابلها فى الترجمة الانجليزية great fish أى سمكة ضخمة كبيرة الجرم وكان العرب فى الزمن الغابر يستعملون لفظ « حوت » فى هذا المعنى وبه نزلت الآية « فالتقمه الحوت وهو مليم »

الصافات ١٤٢

بيد أن هذا اللفظ اكتسب الآن معنى علميا فأصبح يطلق على ما يقابل فى الانجليزية whale وهو حيوان ثديى سمكى الشكل ضيق البلعوم يعتمد فى غذائه على الحيوانات البحرية الصغيرة كالسرطان ونجف البحر ، وهو نادر فى البحر الأبيض المتوسط . ويبدو أن واضع سفر يونان كان يعتقد أن السمكة الضخمة جوفاء تنطوى على مقام يتيح لذلك النبى اليهودى أن يقضى فيه الساعات والأيام .

١ ــ فالابن يرث من أبيه آثامه كما يرث منه قسمات وجهه ، ومن ثم كان الابن يؤخذ بجريرة أبيه (٤٦)

٢ ــ ومن الميسور أن تنتقل الآثام كما تنتقل الأثقال من كاهل الى كاهل ، ومن هنا نشأ منسك نقل الذنوب من بنى الانسان الى تيس يطلقه الكاهن فى القفر(٤٧)

« ويضع هرون يديه على رأس التيس الحى ويقر عليه بكل ذنوب بنى اسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه الى البرية ٠ ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى أرض مقفرة فيطلق التيس فى البرية » ٠

لاويون ١٦ : ٢١ ــ ٢٢

٣ ــ قد يولد الطفل وبجسده علامة شبيهة بشىء وقع عليه بصر الام فى أثناء حملها به وفى استطاعة الحامل أن تكسب الجنين الذى فى احشائها شبه

---

(٤٦) وقد بلغت تلك العقيدة ذروة نموها فى المسيحية اذ أورثت الجنس البشرى كله خطيئة آدم ٠

(٤٧) وينقل البراهمة آثامهم الى البقر المقدس وكان المسيحيون فى مبدأ أمرهم يضحون فى مكان التيس المطلق بحمل ، ومن ثم اتخذوا الحمل رمزا للمسيحية ٠ وهم يحتفلون اليوم فى عيد صعود المسيح ليذكروا أكبر تيس مطلق ، فقد حمل المسيح معه آثام البشرية جمعاء ٠

شيء ما وذلك بأن ترنو (٤٨) اليه طويلا ٠

ويمكن احداث هذه الظاهرة فى الحيوانات أيضا ٠ ومن ذلك أن يعقوب عندما حان له أن يفصل (٤٩) عن بيت خاله وحميه لابان سأله أن يوفيه أجر خدمته اياه وعرض عليه أن يكون جعله ما يولد من الغنم وبه رقشة (٥٠) أو تفويف (٥١) ٠

« فأخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضراء من لبنى (٥٢) ولوز ودلب (٥٣) ، وقشر فيها خطوطا بيضاء كاشطا عن البياض الذى على القضبان ٠ وأوقف القضبان التى قشرها فى الأجران فى مساقى الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب ٠ فتوحمت (٥٤) الغنم عند

---

(٤٨) رنا : أدام النظر فى سكون طرف ٠

(٤٩) فصل عن البلد : خرج منه ، ومنه « فلما فصل طالوت بالجنود » ٠

(٥٠) رقش كلامه : زخرفه ٠ الرقش : لون كدرة وسواد ونحوهما

(٥١) مفوف : فيه خطوط بيض على الطول ، يقال برد مفوف أى كساء مخطط يلتحف به ٠

(٥٢) اللبنى : يقابلها فى الترجمة الانجليزية poplar أى شجر الحور ٠

(٥٣) الدلب : شجر عظيم الورق لا زهر له ولا ثمر وهى فى الترجمة الانجليزية chestnut يعنى أبا فروة ٠

(٥٤) ورحمت المرأة وتوحمت : حبلت واشتدت شهوتها للأكل ٠

القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطا (٥٥) وبلقا (٥٦) » . تكوين ٣٠ : ٣٧ ـ ٣٩

٤ ـ اذا أغلى اللبن أصببت البقرة التى أدرته بجفاف ضرعها ، فثم صلة بين أنثى الحيوان ولبنها تظل قائمة بعد أن تدره (٥٧) .

ولهذا نجد أخرى الوصايا الموسوية العشر (فى صيغتها القديمة) تنهى عن الجمع بين اللحم واللبن على مائدة واحدة .

« لا تطبخ جديا بلبن أمه » خروج ٣٤ : ٣٦

ويحافظ المسيحيون المتزمتون على هذه الوصية الماهمة فيطهون اللحم بالزيت لا بالزبد .

٥ ـ ومن الميسور انجاز عمل مرغوب فيه بصنع ما يحاكيه ، فيسدد المرء خنجرا أو شظية حادة من العظم نحو العدو مع صب اللعنة عليه فى أثناء ذلك ، ويطلق ألوانا من الطيب نحو الحبيب الذى تهفو اليه النفس وتود اجتذابه ، مع مناغاته خلال ذلك بألفاظ التحبب والتدليل ، ويؤدى بفمه حركات امتصاص لاستخراج السموم من أجسام الأصدقاء ولابرائهم من الأمراض .

---

(٥٥) الرقطة : لون مؤلف من بياض وسواد أو من حمرة وصفرة وغيرهما .

(٥٦) البلق : سواد وبياض فى اللون .

(٥٧) كان العرب يقولون « اللبن محتضر فغط اناءك » أى أنه كثير الآفة ، وهم يعنون أن الجن تحضره .

٦ ـ ويوارى المرء منهم قلامة ظفره وقصاصة شعره وما الى ذلك مكانا خفيا حتى لا تحرق أو تسحق أو تمزق فيلحقه ما لحق ذلك «الأثر» .

٧ ـ وينطوى تمثال المرء على شطر من روحه ، فمن لقى بين يديه تمثالا تسنى له التوسل به الى ايذاء النموذج الذى نحت التمثال على قوامه أو صيغ على غراره (٥٨) ، ومن ثم جاءت الوصية الثانية تنهى عن صنع التماثيل ، ولم تكتف بنص واحد جلى قاطع بل كررت النهى فى ألفاظ منتقاة وفصلت القول فى بيان جامع مانع .

« لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الارض من تحت وما فى الماء من تحت الارض » ...

خروج ٢٠ : ٤

وكان العبرانيون فى وقت ما يتحامون التلفظ بكلمة « تمثال » اذ غدت التماثيل عند أولئك الجهلة الموسوسين (٥٩) « تابو » وذلك من خشيتهم أن تنشأ صلة عاطفية بين التماثيل والأشياء التى هى

---

(٥٨) الغرار : المثال تضرب عليه النصال لتصلح ، يقال ضرب نصاله على غرار واحد : على مثال واحد ، وضرب على غرارة : نهج منهجه .

(٥٩) وسوس الرجل : أصيب فى عقله وتكلم بغير نظام واعترته الوساوس .

صورة لهـا (٦٠) ٠

وكان كليمنس الأسكندرى يرى فى تطلع المرأة الى خيالها فى المرآة انتهاكا للوصية الثانية ، اذ أنها بعملها هذا تصنع لنفسها تمثالا ٠

ويهم بعض الناس أن من يحم مرآة يتبدد جده وسعده كما يتبدد شبهه مع كسارهـا المتناثر والى

---

(٦٠) ولذلك كانت معابد قدامى المصريين والفرس صفرا من التماثيل ٠

أما التماثيل التى نصبت فى الجزيرة العربية أيام الجاهلية فجلها ـ ان لم تكن كلها ـ من أصل أجنبى ، وقد وردت أسماء بعض منها فى غير موضع من القرآن ، ومنها الأصنام الثلاثة التى كانوا يعدونها بنات الله ٠

« أفرأيتم اللات والعزى ٠ ومناة الثالثة الأخرى ٠ ألكم الذكر وله الأنثى ٠ تلك اذن قسمة ، ضيزى »

النجم ١٩ ـ ٢٢

فأما اللات ، وقد نصب تمثالها فى الطائف ، ومناة وقد نصب تمثالها على سيف بحر القلزم (أى البحر الأحمر والقلزم بلد قديم خرب بنيت فى موضعه مدينة السويس) فهما من أصل بابلى ، وأما العزى ، وقد نصب تمثالها بالحراض ، فهى الربة المصرية المعروفة ايزيس ٠

وأشهر أصنام الكعبة وأعلاها كعبا هو هبل وهو تمثال من العقيق الأحمر جىء به من الشام وزعموا أنه يتشفع الى الله فى الاستسقاء واسمه معرب عن هبعل أى البعل ٠

مستخلص من كتاب « نحو آفاق أوسع » للسيدة أبكار السقاف

هذا الاعتقاد ترجع عادة حجب المرايا أو ادارتها الى الخلف عندما يموت أحد سكان البيت حتى لا يختطف شبح الميت ، وهو يجوس خلال الدار أو حواليها ، الروح التى تبرز من أحد أهل البيت فى المرآة ٠

٨ ـ وكذلك يكون اسم الشخص جزءا من روحه والمرء لا يحرز روحه قبل أن يحرز اسمه (٦١) فعلى المرء أن يخفى اسمه مخشاة أن يصاب عن طريقه بما يلقى به الى التهلكة وأن يحمله الاسم المعلن على المعاطب وينغص عليه عيشه (٦٢) وفى ميسور المرء اذا عثر به الجد أن يغير حظه بتغيير اسمه ٠ ويمسك اليهودى عن اطلاق أسماء من ماتوا من أطفاله على من يولدون له من بعد ، اذ أن عزرائيل متى جهل اسم طفل تعذر عليه أن يقبض روحه ٠ وما فتىء بعض اليهود الى اليوم يطلقون على مرضاهم أسماء جديدة حتى يخطئهم ملك الموت ، وتراهم اذا ذكر

---

(٦١)ونجد فى بعض اللغات أن كلمة « اسم » و « نفس » (بفتح الفاء) و « نفس » (بتسكين الفاء) أو « روح » هى كلمة واحدة ٠

(٦٢) كان قدماء المصريين يطلقون على من يولد لهم اسمين : اسما يعرف به بين الناس وآخر يظل مستورا عنهم ٠

وقد جرى غلاة المتدينين فى انجلترا واسكتلاندا على ألا ينطقوا بكلمة « شيطان » نطقا سليما حين تعرض لهم وهم يتلون الكتاب المقدس ، خشية أن يتراءى لهم الشيطان ، بل يصحموها فينطقوها divil بدلا من devil

لهم اسم أحد الموتى يستعيدون من روحه بقولهم « أفاشولم » أى فلترقد روحه بسلام ٠

وهذا التابو هو الذى يمنع اليهود من ذكر الاسم السرى لالههم (٦٣) بزعم أنهم بذلك يدرأون عن العالم وقوع كارثة تطيح به ٠ وعندهم أن ذلك الاله قد خلق العالم بأن جعل فمه ينطلق باسمه فاذا العالم قد وجد بعد أن لم يكن ٠ ويعتقد المسيحيون أن العالم قد خلق بما لبعض الكلمات من قوة سحرية ٠

---

(٦٣) يكاد التابو الذى يحرم النطق باسم الله يكون قد عم الأديان البدائية كافة ، فاسم « براهما » مقدس عند الهنود واسم « ردرا » Rudra (أى العاوى أو المولول) مقدس عند الودا ٠ وقد ذكر سيشرون أنه كانت هناك فرقة من أهل مصر تعد ذكر اسم أحد الآلهة المصريين جريرة من الجرائر ٠ وما من أحد يعرف الاسم الحقيقى لكل من أمون وأتون ، فقد كان كبار الكهنة هم وحدهم الذين يؤتمنون على الأسماء المقدسة والأسماء السرية للآلهة ، فاذا ما اقتضاهم الأمر أن يلفظوا بتلك الأسماء فعلوا ذلك بصوت مخفوض على تهيب وخشوع ، وكذلك كانت الحال فيما يتصل بأسماء الملوك والأشخاص المقدسين ٠

وقد ظل الكثير من اليابانيين الى عهد غير بعيد يجهلون اسم امبراطورهم ، وحدث أن اكتشف أحد ضباطهم أن الاسم الذى أطلقه على ابنه هو اسم الميكادو فاعتزل عمله وانتحر تكفيرا عن انتهاكه حرمة هذا التابو ٠

وهنالك قصة طريفة تصور كيف انتزعت ايزيس الماكرة من رع اله الشمس اسمه السرى ، وهذه القصة تقول :

كانت المرأة ايزيس تصبو الى أن ترتقى الى عالم الآلهة ، =

« فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » ٠ يوحنا ١ : ١

ويشتمل الكتاب المقدس على أسماء ذات قوة سحرية فمن عرف خواص تركيب الحروف استطاع تسخيرها فى الاتيان بالعجائب والتسلط على قوى الشر غير المرئية ٠ وقد أصبح العرافون والكهنة والسحرة ، لمعرفتهم التركيب السرى للاسماء الالهية ، على صلة بالسماء تسنى لهم ربط القوى السماوية بما يقع لبنى الانسان من أحداث ٠

وفى الكتاب المقدس شواهد كثيرة على ما لاسم الله من قوة سحرية ٠

« فيجعلون اسمى على بنى اسرائيل وأنا

= فبنت عزمها على أن تعرف الاسم الكبير للاله « رع » كى تتوسل به الى قضاء وطرها ، ولم يكن يعرف هذا الاسم سواه ٠ وكان ذلك الاله قد طعن فى السن فكان فمه يتحلب فينحدر ريقه على الثرى ، فجمعت ايزيس قدرا من لعابة وعجنته وجبلت منه حية أطلقتها تسعى فى الطريق التى يسلكها الاله الكبير فى مسيرة بين شطرى مملكته المزدوجة ٠ ولدغته الحية فزعق من شدة الالم ، وسرى السم فى جسدة فتولته رعدة وأخذت أسنانه تصطك ٠ فأقبلت اليه ايزيس وسألته أن يطلعها على اسمه لتدعوه به فيعيش ، واستجاب لها من بعد الحاح فأنجته من أثر السم ، بيد أنه لم يملك بعد أن غلب على اسمه الا أن يتوارى عن سائر الآلهة وشغر مكانه فى سفينة الأبدية ٠

وعند بعض الفرق الاسلامية أن لله غير أسمائه الحسنى سبحانه وتعالى ما يطلق عليه « الاسم الأعظم » وبه يدعى تضرعا وخفية ، فيقال « بحق الاسم الأعظم ٠

اباركهم » (٦٤) ٠

ومن المتواتر عند اليهود أنه حدث فى القرون الوسطى أن بدا لحاخام من القبليين sefer yezirah وهم فرقة صوفيه النزعه ، أن يرفع المظالم عن بنى جنسه ويقتص لهم مما أنزله بهم أعداؤهم ، فخلق من الطين « جولم golem وهو صنم ضخم الجرم موثق (٦٥) التجاليد (٦٦) غير أنه لا قبل له بالكلام ، ونقش على جبهته اسم الله فدبت فيه الحياة ونشط يدمر ما أمامه ويجتاح ما فى طريقة فنظر الحاخام من ذلك وبدر الى محو الاسم من فوق جبهة الصنم فاذا الصنم قد انهار ترابا ٠

ولأسماء الملائكة قوة سحرية ٠ جاء فى المعلمة (أى دائرة المعارف) اليهودية أن هانيل عم ارميا استحضر الملائكة عندما حاصر بختنصر بيت المقدس، واستعداها على البابليين فمدت له يد المعونة وأوقعت فى قلوبهم الرعب فولوا فرارا ، كما انه استخدم الاسم الذى لا يمحى ورفع بذلك بيت المقدس فى اجواز (٦٧) الفضاء ليجعلها بمنجاة من اذى الاعداء ، بيد أن يهوه

---

(٦٤) وعندنا أيضا ، اذا تعثر طفل فى مشيته أو أصابة مكروه ما تقول له أمه « اسم الله عليك » ٠

(٦٥) وثق الشىء : قوى وثبت وكان محكما ٠

(٦٦) تجاليد الانسان : جماعة جسمه وبدنه ٠

(٦٧) جوز الشىء : وسطه ومعظمه ، يقال قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا ٠

كان قد اقتضت مشيئته أن يدع المدينة تسقط فى أيديهم،ولهذا أعادها أدراجها وبدل الملائكة فاستعصى على هانيل احضارهم اليه مرة أخرى ٠

وتستخدم أسماء بعض شخوص الكتاب المقدس فى الوصول الى نتائج سحرية : دانيال للسلامة من الحيوانات الضارية وموسى لاتقاء النيران (٦٨) ويوسف لدرء الاحتلام ولعصمة من الغواية،وهلم جرا٠

وثم آيات تتلى لأغراض خاصة ، فهم يتلون لتلطيف أوجاع الولادة :

« وافتقد الرب سارة كما قال ٠ وفعل الرب لسارة كما تكلم ٠ فحبلت وولدت لابراهيم ابنا فى شيخوخته فى الوقت الذى تكلم الله عنه » تكوين ٢١ : ١ ــ ٢

ويتلون لاتقاء شرة الكلب العقور :

« ولكن جميع بنى اسرائيل لا يستن (٦٩) كلب لسانه اليهم لا الى الناس ولا الى البهائم

---

(٦٨) مما يذكرنا بقولهم :

« وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ٠ فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق »

خروج ٣ : ٢ ــ ٣

(٦٩) استن الرجل : استاك أى تدلك بالسواك ، وهو فعل لازم لا ينصب مفعولا ٠ يقابل هذا الفعل فى الترجمة الانجليزية كلمة move أى يحرك ٠والترجمة الصحيحة للجملة هى أما فى وجه بنى اسرائيل فلن يدلع كلب لسانه ٠

لكى تعلموا أن الرب يميز بين المصريين (٧٠) وإسرائيل » خروج ١١ : ٧

٩ ـ هذا وقد يمس المرء غيره بخطر مبهم غامض دون أن يتوسل الى ذلك بتمثاله أو باسمه أو بشيء من مخلفاته وذلك يشتهى احراز شيء من ممتلكاته أو من الاتصاف بشيء مما يتحلى به من المزايا ، فان الحسد ينفى عن المحسود ما يكتنفه من خيرات فلا يلبث أن ينضب ماله وتنفق ماشيته وكأنما غصبه حاسده ما كان فى حوزته ٠ وكم من رجل حسده حاسد فخرع (٧٠م) بدنه و « ربطت » أعضاؤه التناسلية فاذا هو مخرس ازاء نداء الجنس لا قبل له باشباع رغبة أو خليلة ٠ وموجز القول أن الحسد لا يعدو أن يكون ضربا من السحر آلته العين الخبيثة ٠

ولا ضير فى أن يحسد العبرى امرءا من « الامميين » فقد أباح يهوه لشعبه المختار أرواح أهل الأمم الأخرى، وجعل أموالهم غنيمة للاسرائيليين فى الحرب والسلم على السواء (٧١) ٠

---

(٧٠) وردت كلمة «مصر» و « المصريين » مئات المرات فى « العهد القديم » فكلما قام يهودى بمنسك دينى أو تلا قبسا من الذكر اليهودى الحكيم ألفى نفسه يسب مصر والمصريين ٠

(٧٠م) خرع الرجل وتخرع : استرخى وضعف ولانت مفاصله ٠

(٧١) «ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل» آل عمران ٧٥ أى لا تثريب علينا أن نظلم العرب وغيرهم ممن ليسوا منا ٠

وأجاز للاسرائيلى أن يقرضهم المال بالربا الفاحش ٠

« للاجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » ٠ تثنية ٢٣ : ٢٠

وأن يطعمهم جيف الحيوانات النافقة

« لا تأكلوا جثة ما ٠ تعطيها للغريب الذى فى أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبى »

تثنية ١٤ : ٢١

أما فى داخل نطاق بنى اسرائيل فقد حرمت هذه الموبقات (٧٢) تحريما قاطعا ، وحظر على اليهودى أن يحسد قريبئه أى ابن قبيلته وأخاه فى العقيدة الدينية ، لأن فشو هذه الآفة فى أسباط (٧٣) اليهود يعرضها لخطر هو خفى ولكنه مقيم يرفرف على أعضائها جميعا ، ولهذا جعل اشتهاء ممتلكات هؤلاء الأقرباء انتهاكا لتابو فمن فعل ذلك أوشك أن يلحق الأذى بجماعته ، ومن ثم حق لها أن توقع به أوبل عقاب ٠

« ويل للمفتكرين بالبطل (٧٤) والصانعين

---

(٧٢) أوبقه : أهلكه ٠ الموبقات : الكبائر من المعاصى لأنهن مهلكات ٠

(٧٣) السبط من اليهود كالقبيلة من العرب ٠

(٧٤) الترجمة الصحيحة هى

ويل للذين يدبرون الظلم والاجحاف

الشر على مضاجعهم · فى نـور الصبـاح يفعلونه لأنه فى قدرة يدهم · فانهم يشتهون الحقـول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونهـا ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه · لذلك هكذا قال الرب · هأنذا افتكر على هـذه العشيرة بشر لا تزيلون منـه أعناقكـم ولا تسلكون بالتشامخ لانه زمان ردىء » ·

ميخا ٢ : ١ ـ ٣

وقد أبانت الوصية العاشرة تفصيلات الاشتهـاء فيما يأتى :

« لا تشته بيت قريبك · لاتشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك » (٧٥) خروج ٢٠ : ١٧

و كانت هناك ألفاظ خاصة يحرص اليهود علـى التفوه بها وحركات معلومة يلوحون بهـا استعـاذة لانفسهم ولاقربائهم من شر الحاسدين وتحرزا مـن

---

(٧٥) وقد ذكرت هذه الوصية بعد ذلك مـرة أخـرى مع بعض الاختلاف فى الصيغة

« لاتشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقلـه ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك »

تثنية ٥ : ٢١

وهذه الصيغة أحدث عهدا بدليل استعمال الواو العاطفـة وبدليل ذكر الحقل وهو ما يؤخذ منه أنها كتبت فى مرحلـه تالية لمرحلة البداوة

كيد الارواح الشريرة التى توشك أن تدهمهم بما يورثهم وهن الجسم وضعف العقل ويفقدهم الجمال وينبو بهم عن التوفيق فى أعمالهم ، فكانوا يدرءون عن أطفالهم شر الحسد بأن يضعوا فى جيوبهم كسرة من الفطير غير الخمير وشيئا يسيرا من الملح٠وكانوا اذا طاب لاحدهم أن يعبر عن اعجابهم بامرىء قدم لذلك بكلمة تبطل أثر الحسد ، فيقول مثلا : «كننهور» kenanhore يالله من طفل جميل موفور العافية (٧٦) ٠

وان هذا ليذكرنا بحادثة وقعت ذات مرة فى احدى المحاكم الامريكية ، اذ سأل القاضى شاهدا يهوديا عن عمره فلم يحر جوابا ، ونبه أحدهم القاضى الى أن هنالك تابو يحرم على اليهودى احصاء ما عنده من أناس أو ماشية أو دواجن أو غيرها (٧٧) ويحظر

---

(٧٦) ويقول العامة من أهل مصر فى مثل هذا المقام « صل على النبى »

(٧٧) وهذا التابو هو الذى انتهكه الملك داود اذ أحصى فتيان مملكته ٠

وقد بينت التوراة طريقة الخلاص من العقاب على انتهاك هذه الوصية وهى أن يؤدى كل من المعدودين الى الكهنة نصف شاقل من الفضة وهو يعادل ثلث دولار امريكى مع ملاحظة ما كان للنقود فى ذلك العصر من قيمة شرائية عظيمة ٠

« يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تعدهم لئلا يصير فيهم وبأ عندما تعدهم ٠ هذا ما يعطيه كل من اجتاز الى المعدودين نصف الشاقل بشاقل القدس »

خروج ٣٠ : ١٢ ـ ١٣ =

عليه الاجابة عن الاسئلة التى تتصل بذلك ما لم يكن السؤال مسبوقا بكلمة مأثورة معينة فأعاد القاضى السؤال مسبوقا بتلك الكلمة فقال أمبشرين umbeshrien كم أتى لك من العمر ؟ فباح اليهودى بسنه ٠

١٠ ـ اذا سرق امرؤ أحد موطنيه (٧٨) ولم يمسك بجريرته ، وصب المسروق ـ بنفسه أو بوساطة كاهن ـ لعنته على السارق وهو لا يعرفه ، حلت اللعنة به ونالت منه ، وقد نجم عن ذلك أنه اذا سرق امرؤ شيئا ثم عرض له عارض من مرض توهم أن ذلك ألم به من جراء اصابته ، فلا يملك الا الاقرار بجرمه ورد المتاع المسروق الى صاحبه أو تعويضه منه حتى لا تظل اللعنة آخذة بمخنقه (٧٩) ، ومن هنا جاءت الوصية الثامنة تحرم السرقة ٠

= ومن المعلوم أن الكهانة قد حبست على أولاد الكاهن الأكبر هرون أخى موسى وحفدته ، فهم الذين تنتهى الى خزائنهم حصيلة هذه الفريضة ٠

والأصل فى التابو الذى بنيت عليه الوصية العاشرة هو التوقى من الحسد ٠

(٧٨) أوطن بالمكان : أقام به فهو موطن ٠ وأما المواطن فهو الموافق ، يقال واطنه على الأمر : وافقه عليه ٠

(٧٩) ولطالما سمعنا من يتهم بالسرقة بين ظهرانينا يبرىء نفسه باستنزال اللعنة على نفسه قائلا ان كنت يارب قد سرقت كذا فافعل بى (أو بأولادى) كيت وكيت ٠

١١ ـ وعندهم أن دم الانسان أو الحيوان هو حياته، أو ـ على الاقل ـ أن روحه تكمن فى دمه ، ومن هنا نشأ تحريم أكل الدم عند اليهود ٠

« لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع اللحم » (٨٠)
تثنية ١٢ : ٢٣

لقد اختص يهوه نفسه بالدم كله فهو على الانام حرام

« فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية » خروج ٢٩ : ١٦

« ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هرون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديرا على المذبح لدى باب خيمة الاجتماع »
لاويون ١ : ٥

« فذبحه وأخذ موسى الدم وجعل على قرون المذبح مستديرا باصبعة وطهر المذبح ثم صب الدم الى أسفل المذبح وقدسه تكفيرا عنه » لاويون ٨ : ١٥

---

(٨٠) هذا مثل من سوء الترجمة ، والترجمة الصحيحة هى : ولكن تحفظ من أن تأكل الدم ، لأن الدم هو الحياة ولا ينبغى لك أن تأكل الحياة مع اللحم ٠

أما نصيب الانسان من الذبائح فهو اللحم

« وقال شاول تفرقوا بين الشعب وقولوا لهم أن يقدموا الى كل واحد ثوره وكل واحد شاته واذبحوا ههنا وكلوا ولا تخطئوا الى الرب بأكلكم مع الدم »

١ صموئيل ١٤ : ٣٤

واليهود المتزمتون (٨١) لا يمتنعون من أكل الدم الخالص (٨٢) فحسب ، بل انهم يتورعون كذلك عن أكل اللحم ما لم يستصف تماما من الدم ، وذلك بنقعه فى الماء وتمليحه ثم تجفيفه ونزع الاوعية الدموية منه مع تلاوة دعاء خاص عند ذبح الحيوان تكفيرا عن سفك دمه ٠

واذا سفك امرؤ دم اخر خرجت روح القتيل من جثمانه مع الدم ولم تنفك تجأر بالشكوى

« صوت دم أخيك صارخ الى من الارض »

تكوين ٤ : ١٠

---

(٨١) زمت الرجل : وقر ورزن وقل كلامه ٠ تزمت : توقر و ـ تشدد فى دينه أو رأيه (مولدة)

(٨٢) يأكل الأوربيون أصنافا من (السجق) محشوا بالدم المجفف المطيب بالتوابل ٠

وكان العرب يزعمون أن القتيل المطلول الدم أى الذى لم يقتص له يظهر عند قبره طائر ليلى صغير يقال له الهامة وقد يسمى الصدى ، ولا ينفك يصرخ قائلا اسقونى حتى يؤخذ بثأره • ومن ذلك قول ذى الاصبع العدوانى :

يا عمرو الا تدع شتمى ومنقصتى
أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

ولا تزال بالقاتل حتى تواريه فى رمسه (٨٣) •

ومن هنا نشأ تحريم سفك الدم ووجوب تطهر الجنود بعد القتال من اهراق دم العدو ومن لمسه

---

(٨٣) ولهذا ملك الهلع على قايين (قابيل) لبه بعدما سفك دم أخيه هابيل ، وأصبح يحس أنه مطلوب بدمه •

« وأكون تائها وهاربا فى الأرض فيكون كل من وجدنى يقتلنى »

تكوين ١٤

وقد تذكر اخوة يوسف جنايتهم عليه وتذاكروها حين اتهمهم يوسف ، ولما يعرفوه على حقيقته بأنهم قدموا مصر لكى يتجسسوا أخبارها •

« فأجابهم رأوبين قائلا : ألم أكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا • فهوذا دمه يطلب »

تكوين ٤٢ : ٢٢

حتى لا ينقلوا ذلك الدم الى عشيرتهم فتنتقل معه أرواح القتلى من الاعداء فيتاح لها الاقتصاص من قتلة أصحابها ، ومصداق ذلك قول موسى لجنوده وقد عادوا بعدما أعملوا السيف فى رقاب أهل مدين ٠

« وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام ٠ وتطهروا كل من قتل نفسا وكل من مس قتيلا فى اليوم الثالث وفى السابع أنتم وسبيكم وكل متاع من جلد وكل مصنوع من شعر معز وكل متاع من خشب تطهرونه »

عدد ٣١ : ١٩ ــ ٢٠

وهم يستشعرون التنجس من سيلان الافرازات المنوية عند مباشرة القربان (٨٤) كما يستشعرون التنجس من سيل الدم عند القتل ، ومن ثم وجب التطهر من هذا كما وجب التطهر من ذاك

« اذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجسا الى المساء ٠ وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجسا الى المساء »

لاويون ١٥ : ١٦ ــ ١٧

---

(٨٤) قرب الشيء : دنا منه و ــ باشره ٠ قرب الرجل زوجته : جامعها ٠ قال تعالى « ولا تقربوهن حتى يطهرن » ٠

وقد فرض عليهم أن يتطهروا بعد الاحتلام أيضا « اذا خرجب فى جيش على أعدائك فاحترز من كل شىء ردىء · ان كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج الى خارج المحلة · لا يدخل الى داخل المحلة · ونحو اقبال المساء يغتسل بماء وعند غروب الشمس يدخل الى داخل المحلة » تثنية ٢٣ : ٩ ـ ١١

وعندهم انه اذا باضع (٨٥) الرجل زوجته فى أثناء نشوب الحرب زايلته المقدرة على أن يصرع عدوه ، فاذا أصيب هو بجرح أودى الجرح بحياته · ولهذا أبى أوريا الحثى أن يمتثل لما رسمه (٨٦) له الملك داود من الرجوع الى بيته ليغشى امرأته « بتشبع »

« فقاث داود لأوريا اما جئت من السفر ، فلماذا لم تنزل الى بيتك ، فقال أوريا لداود أن التابوت واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب (٨٧) وعبيد سيدى

---

(٨٥) باضع الزوجة : باشرها

(٨٦) رسم له كذا : أمره به

(٨٧) القائد المظفر يوآب هو الذى بطش بأبشالوم عندما شق هذا عصا الطاعة على أبيه ومليكه داود ونادى بنفسه ملكا بدلا منه ، وهو الذى أنفذ فى أوريا الحثى أمر الملك داود باغتياله · وعندما حضر الموت داود دعا اليه سليمان وأوصاه بألا يرحم أحدا من أعدائه وبأن يقتل يوآب ، وسرعان ما استجاب سليمان للوصية ·

نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتى (٨٨)»
٢ صموئيل ١١ : ١٠ ـ ١١

وثم صلة عاطفية بين الزوجة وزوجها كتلك التى بين البقرة وما تدره من اللبن ، فاذا أقدمت المرأة على الزنا ركب ذلك زوجها بالأذى ، ولهذا أصبح الزنا « تابو » سجلته الوصية السابعة فى قولها

« لا تزن » خروج ٢٠ : ١٤

هذه الوصية لم تصدر عن احساس خلقى ولا هى تمت الى القيم الخلقية المعروفة فى هذا العصر ، فان قواعد الاخلاق ethics لم تكن قد ارتقت فى الزمن الذى كتبت فيه الوصايا العشر الى مستوى يعد فيه الزنا عملا ينطوى على سوء الخلق ، وانما كان النهى عن الزنا مجرد وصية تسجل تابو . وقد يكفى للدلالة على ذلك أن الكتاب المقدس ردد كلمة « الزنا » ومشتقاتها ما يربى على خمسمئة مرة على حين أن كلمة « الخلق » moral لم يرد لها ذكر فيه البتة .

---

(٨٨) وانما طلب اليه داود أن يدخل على امرأته حتى لا يستبين له ولغيره فيما بعد أنها حملت سفاحا وهو فى ميدان القتال ، فلما أبى الزوج الامتثال لرغبة الملك صونا لحرمة التابو أمر جلالته قائده يوآب بقتل الزوج المثلوم العرض غيلة ، وما عتم داود أن ضم الأرملة الحسناء الى حريمه فولدت له سليمان .

٩

الوصايا العشر

ينوه الكهنة بالوصايا العشر ويحفونها بهالة من القدسية زاعمين أنها أول شريعة أخرجت للناس وأنها أس الفضائل ، وهو زعم لا ينهض على أساس من العلم ولا يدعمه سند من التاريخ ، فقد سبق المصريون العبريين فى سن التشريعات ورعاية الآداب وكذلك سبقتهم شعوب قديمة أخرى

وقد أسفر التحليل العلمى لهذه الوصايا عن :

١ ـ انها خاصة بمن يسمونهم شعب الله المختار وحدهم ، وهذا واضح من مقدمتها

« أنا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية » خروج ٢٠ : ٢

٢ ـ انها تفتقر الى الوضوح والتحديد

فالوصية السادسة ـ مثلا ـ « لا تقتل » لا تبين لنا هل هى تحرم قتل الانسان وحده أو قتل الحيوان أيضا ؟ وهل هذا التحريم يشمل القتل دفاعا عن النفس من شرة انسان أو ضراوة حيوان ؟ وهل هى تحرم قتل الحيوان للاغتذاء بلحمه ؟ وهل هى تحرم على الجلاد انفاذ حكم القتل فى المحكوم عليهم به ؟

والوصية الثامنة « لا تسرق » ليس من الواضح

هل هى خاصة بسرقة الممتلكات المادية وحدها أو هى تنطبق كذلك على من يسرق من أحد أصدقائه خطيبته وعلى من يستولى على دراجة غيره ليتنزه بها ساعة ثم يعيدها مكانها ؟ وهل هى تنطبق على تزوير الصكوك وتزييف النقود وهما أمران لم يكن للناس بهما عهد فى العصر الجاهلى ابان ظهور التوراة ؟

٣ ـ انها تناقض امور أخرى أوصى بها « العهد القديم »

فمن ذلك أنها تنهى عن القتل على حين أن موسى أمر بالقتل الجماعى دون رحمة وبلا تمييز بين الرجال والنساء والاطفال • فقد حدث أنه أرسل جيشه لابادة شعب مدين ، فأعمل الجيش سيوفه فى رقاب الرجال ثم أشعل النيران فى مساكنهم فذهبت ربوعهم وقراهم طعمة للحريق ، وأقفل الجيش راجعا يدق طبول النصر معتزا بما جلب من السبايا وما غنم من الماشية وما نهب من المتاع ، وعلل قواده أنفسهم بما سيلقاهم به موسى من الحفاوة والبشر ، فاذا بكليم الله قد تمعر وجهه وصب عليهم جام (٨٩) غضبه معربا عن فرط سخطه لأنهم استحيوا النساء والاطفال وما كان ينبغى

---

(٨٩) الجام : اناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها ، وهى مؤنثة وقد غلب استعمالها فى قدح الشراب •

لهم وأمرهم بأن يبادروا فيستأصلوا شأفة الأسرى جميعا لا يستبقون منهم الا العذارى

« فالآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال ، وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها »

عدد ٣١ : ١٧

ومن ذلك أيضا أنها تنهى عن السرقة على حين أن موسى حرض بنى اسرائيل على أن يسرقوا المصريين قبل أن يبرحوا بلادهم .

« فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين »

خروج ٤٣ : ٢١ ـ ٢٢

٤ ـ ولم يكن المقصود بها هو الحث على الفضيلة والنهى عن الرذيلة على حسب المعنى المفهوم فى هذه الايام ، بل كان للتحذير من بعض امور يعتقد أنها تولد أخطارا جسيمة وتعقب نتائج وخيمة لا يقتصر اذاها على الذين ظلموا منهم خاصة بل يعم الجماعة كلها اذ هى متضامنة فى السراء والضراء (٩٠)

---

(٩٠) ولهذا عوقب الشعب المصرى جميعا وقتل أبكاره ـ فيما يزعمون ـ عن بكرة أبيهم لأن فرعون نفسه لم يؤمن برسالة موسى ، وعوقب الشعب اليهودى بأن تخرم الموت من أبنائه =

لهذا جاءت أغلب الوصايا العشر فـى صيغة النفى ، فهى لا تقول : كن مسالما ، كن نزيهـا ، كن عفيفـا ، بل تقول : لا تقتل ٠ لا تسرق ٠ لا تزن ٠ لا تشهد على قريبك شهادة زور (٩١) ٠

ويتضح مما تقـدم أن هذه الوصايا بنيت علـى أوهـام العبريين القدمـاء ووساوسهم المؤسسـة على المذهب الحيوى والسحر العاطفى وان غايتهـا القصوى هى توكيـد سريان بعض التابوات التـى فرضت عليهم منذ أقـدم عصور جاهليتهم وتجنيبهم عقبى اللعنـات الفتاكة التى هى قمينـة أن تعصف بهم اذا انتهكت تلك التابوات ٠

= ٧٠٠٠٠ر رجل حصدهم الوباء لأن الملك داود أحصى فتيان الشعب القادرين علـى حمل السلاح ، وعوقب أهل الارض طرا بالطوفان لأن قرية نوح أنكرت نبوته وسخرت بمزاعمه

ومما كان يحفظ على العبريين تضامنهم أنهم كانوا يعدون أمـل الأمم الأخرى « تابو » لا يحق لهم المشـاركة فى شهـود الشعـائر الدينية اليهودية كالاقتراب من المسكن المقدس وأكل الخبز المقدس بين يدى الرب وحرق البخور أمـامه ٠

(٩١) وعند علمـاء التربية وعلم النفس أن تكـرار النهى عـن اتيان أمر ما يضعف المقدرة على مقاومة اغرائه بـل هـو يكـاد يوحى بارتكابه ٠

١٠

جهالة العبريين

وهذا الذى أثبتناه فيما يتصل بالوصايا العشر يصدق كذلك على « العهد القديم » كله ، فهو سجل لايمان العبريين بالسحر يبين عن قصور معارفهم ، لا فيما استحدث بعدهم من المعلومات فحسب (كدوران الارض ونظام كوبرنكس وقوانين كبلر وجاذبية الثقل وعدم قابلية المادة لأن تستحدث وأن تفنى) بل كذلك فى الأمور التى كان يعرفها معاصروهم وأسلاف معاصريهم من الشعوب العريقة فى الحضارة والمدنية . فقد كان الصينيون ـ مثلا ـ يفقهون الشىء الكثير من سبح الاجرام السماوية فى مسالكها وكانوا يحسبون أجال الكسوف والخسوف حتى لقد حاكموا فى سنة ٢١٦٩ ق.م عالمان فلكيان يدعيان « هو » و « هى » لأنهما غفلا عن تنبيه القوم مقدما الى كسوف للشمس كان وشيك الوقوع .

لم يكن العبريون فى زمن « العهد القديم » الا الفافا من أشباه الانسان لا يحسنون غير السلب والنهب . وقد لبثوا الى نهاية دويلتيهم الهزيلتين وهدم بيت المقدس سنة ٧٠ م مرتطمين فى حماة الجهالة .

ومن اليسير علينا أن نستخلص من العهد القديم بيانا بطائفة من المعلومات لم ترق الى معرفتها أذهانهم ، فكان جهلهم بها مبعث أخطاء جسام تفشت بذلك الكتاب • ويمكننا القول بوجه عام أن أولئك العبريين لم يكونوا قادرين على تصور الابعاد الشاسعة سواء ما يتصل بالزمان والمكان • لقد كانوا على غير بصر بأن الكائنات الحية تعمر الارض منذ مئات الملايين من السنين ، ولهذا زعموا أن الكون خلق سنة ٤٠٠٤ ق•م ، ولم يدر فى اخلادهم أن النجم المسمى بالشعرى اليمانية Sirus يكبر عن شمسنا فى الجرم ٢٦٨٨ ضعفا وأن النجم القطبى الذى يهتدى به الملاحون والسارون فى الصحراء يبعد عنا ٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٢٩٢ ميل وأن الضوء النافذ الذى يتأدى الينا من بعض النجوم بسرعة ٠٠٠ر٨٥ ميل فى الثانية يقطع ما بيننا وبينها فى ٠٠٠و٠٠٠و٥ سنة ، فالحياة فى وهمهم غير موغلة فى القدم ، والارض فى ظنهم تشمل الشرق الأوسط وما يصاقبه (٩٢) من الاصقاع ليس غير ، والكون عندهم يتألف من شيئين متقابلين متكافئين هما السموات والارض •

---

(٩٢) صاقبة : قاربة وواجهه ، يقال جار مصاقب •

« فى البدء خلق الله السموات والارض »
تكوين ١ : ١

وهم يرون الشقة بينهما غير شاسعة ، أما ما يسمونه « الجلد » ويسميه العرب « الرقيع » أى قبة السماء فهو فى حسبانهم جسم صلب أشبه شىء بلوح من زجاج يعلو علينا مئات من الامتار وهو مرفوع على عمد

« أسس السماء ارتعدت وارتجفت لأنه غضب » ٢ صموئيل ٢٢ : ٨

« أعمدة السماء ترتعد وترتاع من زجره »
أيوب ٢٦ : ١١

وهذا الجسم الصلب مرصع من باطنه بأجرام سماوية مضيئة على النحو الذى نرى به المصابيح والثريات فى السقوف والجدران

وبما أن الشمس والقمر فى حسابهم لا يزيدان فى الحجم كثيرا على المقدار الذى يبدوان به فقد كان من الهين اليسير على نبى مثل يشوع بن نون أن يعبث بهما ٠

« حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الاموريين أمام بنى اسرائيل وقال أمام عيون اسرائيل ٠ ياشمس دومى على جبعون وياقمر على وادى أيلون ٠ فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ٠ أليس هذا مكتوبا فى سفر

ياشر (٩٣) فوقفت الشمس فى كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل (٩٤) »

يشوع ١٠ : ١٢ ـ ١٤

لقد كان مؤلف هذا السفر جاهلا بأصول الفلك كما كان جاهلا بمشاعر الرحمة : كان يجهل أن الارض هى التى تدور حول الشمس ، وأن ما يبدو وقوفا للشمس والقمر لو صح أنه حدث ما كان الا وقوفا للارض عن الدوران حول محورها وهو أمر لو تحققت لأعقبت فجاءته حرارة صاعقة ، وهكذا يستهان بافساد نواميس الكون كيما يتسنى لقبيلة من الهمج أن تنتصر على قبيلة أخرى فى ذلك اليوم نفسه بدلا من ارجاء الانتصار الى اليوم التالى (٩٥)

---

(٩٣) لا وجود لهذا السفر فى الوقت الراهن ٠

(٩٤) وقد حاول بعض المحدثين الغير على الدين أن يلطفوا من غرابة هذه الحادثة بالبحث لها عن عوامل وأسباب طبيعية فاذا هم قد زادوها شذوذا ، فقد زعموا أن حركة الارض لم ينلها الخلل والاضطراب ولكن أشعة الشمس انكسرت واستطالت لأسباب تتصل بانعكاس الضوء فبدت يوما كاملا كأنها فى كبد السماء ٠ ولو حدث ذلك لبدا كأن الشمس قد ظلت تشرق ٣٦ ساعة متصلة هى ١٢ ساعة للنهار الاصلى و ١٢ ساعة للنهار الظاهرى الناجم عن انكسار الأشعة و١٢ ساعة للنهارالحقيقى التالى ،ولوجب على المتحاربين من الفريقين أن يظلوا يتصاولون ويتجاولون فى حومة الوغى ٣٦ ساعة متوالية ٠

(٩٥) وفى آداب الاغريق مثيل لذلك نجده فى الفصل ٢٣ من الياذه هوميروس ، فان الالهة هيرا Hera أرادت أن تنفذ =

ولم يكن العبث بنواميس الكون يقف فى مخيلة هؤلاء القوم عند حد ، فقد طالعونا بمعجزة أخرى أعقبت معجزة يشوع بثمانية قرون وبزتها فى روعتها ، فقد ابتلى حزقيا بن آحاز ملك يهوذا بالقروح فجأر الى الهه بالدعاء فاستجاب له يهوه ٠ وأراد النبى الذى يعاصره ، أشعيا بن آموص ، أن يطمئن ذلك الملك بأنه سيبرأ من قروحه فأظهره على ما أوحى اليه ٠

« قد سمعت صلاتك ٠ قد رأيت دموعك ٠ هأنذا أشفيك ٠ فى اليوم الثالث تصعد الى بيت الرب ٠ وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة » ٢ ملوك ٢٠ : ٥ ــ ٦

ولم يقنع الملك بكلام النبى وطلب برهانا على صحة نبوءته فاجترح النبى معجزته الباهرة ، وفيها لم يكتف بوقف الأرض عن الدوران بث تمادى فركسها فانقلبت تدور فى الاتجاه العكسى (٩٦)

= « الاخائيين » من الهزيمة التى أوشكت أن تحيق بهم فأمرت الشمس بالمغيب ٠

(٩٦) والطريف فى الأمر أن تلك المعجزة حدثت بعد أن أبل الملك من علته ، ولهذا ورد نبأ ذلك الابلال فى الآية السابعة من الاصحاح العشرين من سفر الملوك الثانى ٠

« فقال أشعياء خذوا قرص تين ، فأخذوها ووضعوها على الدبل فبرىء » ٠

٢ ملوك ٢٠ : ٧ =

كان العبريون يذهبون الى أن الله يقيم فوق الجلد متواريا فى الظلام

« حينئذ تكلم سليمان . قال الرب أنه يسكن فى الضباب » (٩٧)

١ ملوك ٨ : ١٢

« وجعل الظلمة ستره حوله مظلته ضباب المياه وظلام الغمام » مزمور ١٨ : ١١

وأنه كان ينزل بين الحين والحين من فوق الجلد الى الارض لبعض شأنه ثم يعود أدراجه

« فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها » تكوين ١١ : ٥

وأنه كان يقيم معه فوق الجلد أيناؤه ، أولئك الذين هبطوا الارض فراقتهم بنات الناس وخلبن ألبابهم فتزوجوا بعضهن ورزقوا منهن أولادا يمتازون ببسطة الجسم ووفرة القوة وشدة النهم

« وبعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات

= على حين ورد نبأ المعجزة الباهرة بعد ذلك فى الآية الحادية عشرة من ذلك الاصحاح .

« فدعا أشعياء النبى الرب فارجع الظل بالدرجات التى نزل بها بدرجات آحاز عشر درجات الى الوراء »

٢ ملوك ٢٠ : ١١

(٩٧) وصواب الترجمة هو يسكن فى الظلام الكثيف

الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم » تكوين ٦ : ٤

وأنه كانت تقيم معه الملائكة أيضا وتنتقل جيئة وذهوبا بين الارض والسماء ، وذلك ما شاهده يعقوب فى رؤيا له

« واذا سلم منصوبة على الارض ورأسها يمس السماء . وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب » تكوين ٢٨ : ١٢ ـ ١٣

« فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقا ان الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم . وخاف وقال ما ارهب هذا المكان . ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » تكوين ٢٨ : ١٦ ـ ١٧

وأنه كان يقيم معه كذلك بعض المقربين اليه من البشر :

منهم أخنوخ المعروف عند العرب باسم ادريس

« وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لان الله أخذه » تكوين ٥ : ٢٤

ومنهم ايليا التشبى ، المعروف باسم الياس ، وقد كان يسير ذات مرة هو وتابعه اليشع

« وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما · فصعد ايليا فى العاصفة الى السماء » (٩٨) ٢ ملوك ٢ : ١١

وأنى لاولئك العبريين الجهلاء أن يعلموا أنه لو صعد امرؤ بجسده فى السماء لهرأه البرد فمات خصرا (٩٩) ولما يقطع من الطريق شوطا طويلا ، وناهيك افتقاره الى التنفس والاغتذاء

وفى وهمهم أن الارض كانت أول أمرها لا شكل لها « وكانت الارض خربة » تكوين ١ : ٢

وصواب الترجمة : وكانت الارض بلا شكل

أما كيف يكون جرم ما بغير شكل فأمر يدق على الافهام ، بيد أن الارض لم تبق طويلا على هذا اللاشكل ، فسرعان ما أصبحت ذات ترييع

---

(٩٨) وقد أضاف اليهما المسيحيون ربهم يسوع « ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله » مرقس ١٦ : ١٩

ويضيف الكاثوليك اليهم السيدة مريم البتول (أى العذراء المنقطعة عن الزواج الى الله) وقد من الله عليها بأبناء وبنات كثيرين

« أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان · أو ليست اخواته ههنا عندنا · فكانوا يعثرون به » مرقس ٦ : ٣

(٩٩) خصر الرجل : آذاه البرد فى أطرافه · الخصر : البرد ·

« وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربعة زوايا الارض (١٠٠) ممسكين أربع رياح الارض لكى لا تهب ريح على الارض ولا على البحر ولا على شجرة ما »

رؤيا يوحنا ٧ : ١

فهى اذن رقعة مفلطحة غير كروية وغير متحركة ٠ وهى أيضا ـ كالسماء ـ مرفوعة على عمد

« لان للرب أعمدة الارض وقد وضع عليها المسكونة » صموئيل ٢ : ٨

« المؤسس الارض على قواعد فلا تتزعزع الى الدهر والابد » مزمور ١٠٤ : ٥

وهى مركز الكون ، وكل ما فى الكون انما خلق من أجل الارض وسخر لساكنيها ، فالشمس تنير لهم نهارا والقمر يضىء لهم ليلا والنجوم تهدى المدلجين (١٠١) من البدو مصحرين (١٠٢)

---

(١٠٠) ولهذا كان بعض الجغرافيين فى العصور الوسطى يرسمون بسيط الارض فى خرائطهم على شكل مربع

(١٠١) أدلج القوم : ساروا من أول الليل ، وقبل الادلاج سير الليل كله ٠

(١٠٢) أصحر القوم : برزوا الى الصحراء لا يواريهم شىء ، تقول رأيتهم مصحرين أى بارزين الى الصحراء ٠

والمقلعين (١٠٣) من النواتى مبحرين · أما النجوم فقد بلغ من هوان شأنها عند كتاب التوراة أنهم لم يفردوا لذكرها فى قصة الخلق غير كلمة واحدة

« فعمل الله النورين العظيمين · النور الاكبر لحكم النهار والنور الاصغر لحكم الليل والنجوم » تكوين ١ : ١٦

لقد جهل القوم كيف تكونت البحار وكانوا ، فيما يبدو ، يخالونها أسبق من اليابسة وجودا · ونحن نعلم الان أن بخار الماء ظل يكتنف الكرة الارضية دهرا طويلا فلما بردت قشرتها استحال البخار ماء وغشى الماء وجه الارض · وحدثت بعد ذلك تكرشات فى أديم الغبراء فارتفعت أجزاء منه فكانت الجبال وتجمع الماء فى القيعان (١٠٤) بقوة الجاذبية فكانت البحار والمحيطات · ولكن كتاب الوحى الذين دونوا سفر التكوين كانوا يجهلون كل ما يتصل بجاذبية الثقل ، فلم يجدوا بدا من الاستظهار بالقوة العظمى لحبس المياه التى تغمر البسيطة وجمعها فى القيعان

« وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة · وكان كذلك »

تكوين ١ : ٩

---

(١٠٣) أقلع الملاح السفينة : رفع شراعها ونشره لتسير · ولا يقال أقلعت السفينة اذا سارت لان الفعل ليس لها ·

(١٠٤) القاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام

١١

الأســـــاطير

كان من جراء هذا الجهل المطبق ان تقبل العبريون الأساطير التى كانت ذائعة بين الشعوب المجاورة وانتحلوا الكثير منها وبخاصة الأساطير البابلية(١٠٥) فقد كانت قبائل العبريين ضاربة أطنابها (١٠٦) على تخوم الكلدان ، وكلا الشعبين سامى (١٠٧) الجنس حيوى (أنيمى) العقيدة يقبض على ناصيته (١٠٨)شؤونه الدينية كهنة ينطقون بالوحى .

فما الأساطير ؟

هى قصص ابتكرها البدائيون لتفسير ما يغم عليهم من ظواهر الطبيعة وأحداث الكون ، وليس عجبا أن تكون تلك القصص

---

(١٠٥) لاحظ الشبه بين قصة انقاذ الطفل موسى بوضعه فى سلة طفت به فوق النيل وقصة انقاذ سرجون الاول Sargon الذى كان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة عشر قرنا (أى قبيل زمن موسى) اذ وضع وهو طفل فى سلة طفت به فوق مياه الفرات فأنقذه بعض الناس ، ثم هامت به الالاهة عشتاروت فتزوجته وملكته على البلاد فكان أول ملك من الساميين ودام ملكه ٤٠ سنوات.

(١٠٦) الطنب (بضمتين) : حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد . والسرادق هو الفسطاط الذى يمد فوق صحن البيت و ــ الذى يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم وغيرهما .

(١٠٧) نسبة الى سام بن نوح ، ويرى بعض العلماء باللغات ان اسم سام مشتق من اسم اسماعيل .

(١٠٨) الناصية : مقدم الرأس و ــ شعر مقدم الرأس اذا طال. ويقال اذل فلان ناصية فلان : أهانه وحط من قدره .

بدائية كالأذهان التى تفتقت عنها . وقد ذاعت تلك الأساطير وشاعت على ترادف الأزمنة وتخالف الأمكنة . وهى تتشابه تشابها وثيقا على ما بين البلاد التى ذاعت فيها من بعد الشقة .

والأساطير ضروب شتى ، فمنها :

١ ـ أساطير تكشف عن أصل الانسان وتبين كيف وفد الموت على العالم وتوضح كيف تعددت اللغات ، كالأساطير التى حاكتها بعض الشعوب حول خلق الوجود فى ستة أيام ومعصية آدم وبناء برج بابل .

٢ ـ أساطير تتعلق بحوادث طبيعية وتفسر بعض الظواهر الطبيعية ، كأسطورة اكتساح الطوفان للكرة الأرضية كلها مما يعللون به ما يعثرون عليه من الأصداف المتخلفة من الحيوانات الرخوة فى أحجار الجبال البعيدة عن البحار .

٣ ـ أساطير تعلل ما استرعى الانتباه من أشياء غير مألوفة ، كأسطورة مسخ امرأة لوط عمودا من الملح ، مما يعللون به مصادفتهم بعض صخور تشبه الانسان فى هيئته .

٤ ـ أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقى كالاسطورة القائلة بأن الناس كافة منحدرون من أرومة نوح .

٥ ـ أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقى (كالملك سليمان) أو موهوم (كالملك آرثر ، وفاهلم تل) ١٠٩ ، ومن ذلك أسطورة الصراع بين الله ويعقوب ، وهى تعلل لنا لم استبدل يعقوب هذا باسمه فتسمى « اسرائيل » ولم أسمى البقعة التى اصطرعا فيها « فينيئيل » أى وجه الله .

---

(١٠٩) بطل استقلال سويسرا كما نرى فى رواية الشاعر الالمانى شيلر .

٦ ـ اساطير تبين الأصل المنسى لبعض العادات والمناسك والاحتفالات ، فاسطورة الصراع بين الله ويعقوب السالفة الذكر تجلو لنا لم يعزف اليهود عن اكل حق الفخذ ، واسطورة استير تبين لنا لم يحتفل اليهود بعيد البوريم ، وكذلك اسطورة افتداء افجينيا بغزال (١١٠) تبين لنامصدر المنسك الخاص بالتضحية فى العيد بحيوان والاقلاع عما جرى عليه البدائيون فى القرون الأوالى من التضحية بأبنائهم على مذابح آلهتهم . ومما لا ريب فيه أن هذه الأساطير قد تبدلت معالمها بكثرة تداولها ، وأن الشعوب والقبائل حشدت فيها من التغنى بمحامدها والتنويه بمآثرها ما يجعلها محببة الى نفوس ابنائها .

وقد كان اعضاء الأسر الكبيرة فى الزمان الخالى ينصتون الى هذه الأساطير فى رهبة وخشوع ، فلما درس ذلك النظام ونشأت طائفة الأطباء السحرة واصبحوا هم الذين يصرفون امور قبائلهم استأثر هؤلاء برواية اساطير الآلهة ، وكانوا يضنون بروايتها فلا يفعلون ذلك الا فى مناسبات خاصة . وقد رفع هذا الصمت الذى أحاط بها من شأنها واسبغ عليها ثوبا من القدسية فاصبحت لا يتراقى اليها الشك ولا يباح فيها الفحص ولا يخاض فيها بالحجاج واللجاج . فأما الأساطير التى تحولت الى غوامض(١١١) والتى هى أجل من ذلك خطرا فقد كانوا يحبسونها عن التداول ليلقنوها خلفاءهم ، وهذا ما نلمسه عندما نقرأ كيف وضع الكتاب المقدس .

---

(١١٠) وكأنما على منوال واحد نسجت هذه القصة وقصة افتداء اسحق بكبش .

(١١١) mysteries وهذه الكلمة المستعملة فى لغات حديثة شتى مشتقة من الكلمة الاغريقية myo ومعناها اغماض العينين واطباق الشفتين .

١٢

أنبياء بنى اسرائيل

شاع احتراف النبوة بين بنى اسرائيل ، وان ((العهد القديم)) ليطالعنا بصورة لك ((نبييم)) ، باين تلك التى تطوف بأذهان كثير منا ، فهم ـ فى الجملة ـ اشبه الخلق بمن نعرف من أولياء الله الذين يجوبون قرانا الريفية ويرتادون موالدنا الدينية ، ولا عجب فى ذلك فان كلمة ((نبى)) العبرية تعنى هاذيا أو مخبولا .

كانت هذه المهنة تدر لمحترفيها أخلاف(١١٢) الرزق ، الى أنها كانت تصادف هوى فى أفئدتهم ، فقد كانوا بطبيعتهم آفاقين(١١٣) تطيب نفوسهم بالتجوال بين القرى والدساكر وتنشرح صدورهم اذ يقرعون الأسماع ويغلظون للجماهير فى القول ويرمون الناس بابشع التهم وينبزونهم بافحش الألقاب .

وانا لنتعرف الكثير من أحوال أولئك الأنبياء عندما نقرأ سيرة أخاب وولده يهورام من ملوك اسرائيل فى القرن التاسع ق.م. كان أخاب ملكا مظفرا ، وبدا له ف

((اتخذ ايزابل ابنته أثبعل لملك الصيدونيين امراة وسار وعبد البعل وسجد له . وأقام مذبحا للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة . وعمل أخآب سوارى وزاد أخآب فى العمل لاغاظة الرب اله اسرائيل أكثر من جميع ملوك اسرائيل الذين كانوا قبله))

املوك ١٦ : ٣١ ـ ٣٢

---

(١١٢) الخلف (بالكسر) : حلمة ضرع الناقة . أدر الله لك أخلاف الرزق : اكثر الرزق عليك .

(١١٣) الآفاق : الضارب فى الآفاق مكتسبا . الآفاق : النواحى .

فتصدى له النبى ايليا (الياس) وطلب اليه على جهة التحدى أن يحضر أنبياءه الذين يطاوعونه على هواه وسدنه الآلهةالمنافسين ليهوه اله اسرائيل .

« فالآن أرسل واجمع الى كل اسرائيل الى جبل الكرمل وأنبياء السوارى أربع المئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل » املوك ١٨ : ١٩

فلما احتشد أنبياء الفريقين أتى ايليا بمعجزة بارعة كان ولا ريب قد أحسن الاعداد لها ، اذ جاء بثور فذبحه وقطع لحمه وصففه على الحطب ثم تغمغم(١١٤) أمام القوم ببضع كلمات فما لبث الحطب أن اتقد على الملأ طوعا للخطة الموضوعة ، وأخذ أنبياء البعل يهذه الأعجوبة الاسرائيلية التى لم يكن لهم بمثلها سالف عهد .

« فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة . فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو الله . الرب هو الله (١١٥) . فقال لهم ايليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل ، فأمسكوهم فنزل بهم ايليا الى نهر قيشون وذبحهم هناك » املوك ١٨ : ٣٨ ـ ٤٠

وشخص يهوشافاط ملك يهوذا ذات يوم الى أخآب ملك اسرائيل يسأله العون فى شن حرب على أرام (أى سورية) لينتزع منطقة راموت جلعاد ، ووجد أخاب أنه لم يكن ينبغى له أن يحسم الرأى فى أمر جلل كهذا دون أن يستطلع رأى الرب .

---

(١١٤) تغمغم الرجل : لم يبين كلامه .

(١١٥) يعنى أن الله الاله المحلى الذى يعبده بنو اسرائيل هو خالق السماء والأرض .

« فجمع ملك اسرائيل الانبياء نحو اربع مئة وقال لهم اأذهب الى راموت جلعاد للقتال ام امتنع . فقالوا اصعد فيها فيدفعها السيد ليد الملك » املوك ٢٢ : ٦

واحتمس القوم للقتال .

« وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرنى حديد وقال هكذا قال الرب : بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا »

املوك ٢٢ : ١١

وكان ثم نبى مغضوب عليه يدعى ميخا بن يمله فاستدعاه الملك اليه وساله فى هذه المشكلة الخطيرة فابدى التشاؤم على النقيض من انداده الأنبياء .

« وقال فاسمع اذا كلام الرب . قد رايت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره . فقال الرب من يغوى اخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد . فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا ثم اخرج الروح ووقف امام الرب وقال انا اغويه . وقال له الرب بماذا . فقال اخرج واكون روح كذب فى افواه جميع انبيائه . فقال انك تغويه وتقتدر فاخرج وافعل هكذا . والآن هو ذا قد جعل الرب روح كذب فى افواه جميع انبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر . فتقدم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال من اين عبر روح الرب منى ليكلمك » املوك ٢٢ : ١٩ ـ ٢٤

وضرب ملك اسرائيل بنبوءة النبى ميخا عرض الحائط واقدم على المغامرة الحربية مطمئنا الى مزاعم جمهرة انبيائه فكانت عقباه

الموت الزوام (١١٦) ،ومن الطبيعى أن استرسال الكثير من الأنبياء في التكهن بالأحداث المقبلة طالما أفضى الى خيبة وضيعة سؤل وفوت أمل ، ولهذا عمد أصحاب الأسفار المتأخرة الى التحفظ والحيطة فقالوا .

« فاذا ضل النبى وتكلم كلاما فانا الرب قد أضللت ذلك النبى وسأمد يدى عليه وأبيده من وسط شعبى اسرائيل » حزقيال ١٤ : ٩

ونذكر على سبيل المثال أن الملك الاسرائيلى أخاب كان يأخذ جزية من ملك مؤاب ، فلما مات أخاب أمسك ملك مؤاب عما كان يفعل فلم يؤد الجزية الى يهورام الذى خلف أباه على عرش اسرائيل ،فأشخص يهورام ملك اسرائيل الى يهوشافاط ملك يهوذا يستنفره الى مؤازرته فى قتال المؤابيين ، فما ونى هذا أن خف اليه يؤيده وأصبحت الحرب وشيكة . وأراد يهورام قبل أن يرمى بنفسه فى حومة الوغى ان يطمئن الى أن الهه يهوه سيظاهره فى هذا العدوان فأرسل الى النبى اليشع (١١٧) يستنبئه مايكون.

(١١٦ زام : مات موتا سريعا . الزؤام من الموت : الكريه ،وقيل المجهز أى السريع .

(١١٧) كان تابعا لايليا

« وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا فى العاصفة الى السماء » ٢ ملوك : ١١

وله معجزة فريدة فى بابها .

« ثم صعد من هناك الى بيت ايل ، وفيما هو صاعد فى الطريق اذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له اصعد يا أقرع اصعد يا أقرع . فالتفت الى ورائه ونظر اليهم ولعنهم باسم الرب . فخرجت دببتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا » ٢ ملوك ٢ : ٢٣ ـ ٢٤

« فقال اليشع لملك اسرائيل . مالى ولك . اذهب الى انبياء ابيك والى انبياء امك .. لولا اراك . والآن يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت انظر اليك ولا اراك . والآن فأتونى . بعواد ولما ضرب العواد كانت عليه يد الرب فقال : هكذا قال الرب » ٢ ملوك ٣ : ١٣ ـ ١٦

وأفضى اليه برأيه .

ولم يمض على ذلك طويل وقت حتى تقدم (١١٨) اليشع الى احد صبيانه بأن يخلع الملك يهورام ويبيد اسرته وينصب ملكا آخر مكانه .

« ودعا اليشع النبى واحدا من بنى الأنبياء وقال له شد حقويك(١١٩) وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب الى راموت جلعاد . واذا وصلت الى هناك فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشى وادخل وأقمه من وسط اخوته وادخل به الى مخدع داخل مخدع . ثم خذ قنينة الدهن وصب على راسه وقل هكذا قال الرب قد مسحتك ملكا على اسرائيل . ثم افتح الباب واهرب ولا تنتظر . فانطلق الغلام أى الغلام النبى الى راموت جلعاد » ..
٢ ملوك ٩ : ١ ـ ٤

وامتثل ياهو ، بعد مسحه بالدهن ، أمر الغلام النبى ويده سطر الملك يهورام .

« فلما رأى يهورام ياهو قال اسلام يا ياهو . فقال

---

(١١٨) تقدم الى فلان بكذا : أمره به او طلبه منه .
(١١٩) الحقو : الخصر ، تقول « شد ازاره على حقوه » اى على خصره . و ـ الازار ، يقال « رمى بحقوه » أى بازاره .

اى سلام مادام زنا أمك وسحرها الكثير ... وضرب يهورام بين ذراعية فخرج السهم من قلبه فسقط فى مركبته » ٢ ملوك ٩ : ٢٢ ـ ٢٤

« وكان لأخاب والد يهورام سبعون ابنا فى السامرة . فكتب ياهو رسائل وأرسلها .. فلما وصلت الرسالة اليهم اخذوا بنى الملك وقتلوا سبعين رجلا ووضعوا رؤوسهم فى سلال .. وقتل ياهو كل الذين بقوا لبيت اخاب فى يزرعيل وكل عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يتبق له شاردا »
٢ ملوك ١٠:١ـ١١

ويؤخذ مما تقدم :

١ ـ ان اناسا كثيرين اقبلوا على احتراف مهنة النبوة لما لها من مزايا جمة فكثر عدد الأنبياء كثرة لا تناسب قلة عدد السكان فى البلاد .

٢ ـ وكان لبعض أولئك الأنبياء من قوة الشوكة ما يحبوهم بسلطان يعلو على سلطان الملوك على النحو الذى بلوناه فى القرون الوسطى من المتربعين على كرسى البابوية اذ كانوا يؤرثون الفتن ويشعلون الحروب ويخلعون الملوك وينصبون غيرهم .

٣ ـ وكان بعض أولئك الأنبياء كلما رغبوا فى تلقى الوحى هيأوا أنفسهم لذلك بتحريك رءوسهم حركة راتبة على الايقاع الموسيقى كفعل الدراويش فى حلقات الأذكار ، وصنيع الوسطاء الروحانيين فى بعض الأحيان .

٤ ـ وقد ظهر الأنبياء أيضا فى الدويلات المتاخمة لاسرائيل ويهوذا ، اذ كانت تسودها أحوال وملابسات كالتى مهدت لظهور تلك الطائفة فى تينك المملكتين ، ولم يكن ثم من فرق

سوى أن اليهود المنتزحين عن الفيافى والقفار كانوا يدعون الى عبادة الاله الجبلى المحارب يهوه على حين أن سكان تلك الدويلات وجلهم من المزارعين الودعاء كانوا يدعون الى عبادة البعل وهو اله متحضر مسالم وقد ذاع صيت نبى بنى مؤاب الوثنيين أعدى أعداء اليهود ، ذلك المدعو بلعام بن بعور المعروف باسم لقمان الحكيم (بلع = لقم) وقد اشتهر بالحوار الطريف الذى دار بينه وبين حماره (العدد ٢٢)

٥ ـ وثم قصة عجيبة تبين لنا كيف كان الوحى يتنزل على الناس فى ذلك الزمان .

فقد ظل بنو اسرائيل بعد موسى ما ينيف على أربعة قرون يحكمهم من يلقبون بالقضاة ، وضاقوا آخر الأمر بهذا الحكم وازداد برمهم به فى أعقاب عهد الرائى (اى النبى) صموئيل .

« وكان لما شاخ صموئيل انه جعل بنيه قضاة لاسرائيل .. ولم يسلك ابناه فى طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذا رشوة وعوجا القضاء »

١ صموئيل ٨ : ١ ـ ٣

واستشرى الفساد فاستغلظ التذمر وتنادى القوم بأن يملكوا عليهم ملكا فأنكر صموئيل ذلك عليهم قائلا انه لا ملك الا يهوه

« قلتم لى بل يملك علينا ملك . والرب الهكم ملككم »

١ صموئيل ١٢ : ١٢

ويترتب على هذه السفسطة ان يكون صموئيل هو الذى يفصح عن مشيئة الرب وما الرب الا صموئيل وفى سنة ١٠٢٥ ق.م هتف الشعب بشاول ملكا عليه ، فلم يغفر صموئيل لشاول أنه غصب منه صولجان الحكم ، وزاده سخطا على شاول أن

هذا الملك عد نفسه مدينا بسلطانه للشعب وانه لم يمض الى آخر الشوط فى تلبية ما للكهان من رغائب وانفاذ ما لهم من مطالب ولهذا عدوه مارقا من الدين وابلغوه ان الرب غير رايه فيه واصبح شانئا له لا يريد به يسرا .

« وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا . ندمت على انى قد جعلت شاول ملكا لانه رجع من ورائى ولم يقم لكلامى »

١ صموئيل ١٥ : ١ ـ ١١

واختار صموئيل داود ليحل محل مسيح الله شاول بعد التخلص منه ، ومسحه بالدهن ليوليه ملكا على اسرائيل .

« فاخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط اخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا »

١ صموئيل ١٦ : ١٣

وجعل صموئيل يسخر داود فى الكيد لشاول ، وقلب المرشح (١٢٠) للملك والنبوة ظهر المجن لمليكه العتيد (١٢١) ، واحس شاول بما يبيته له داود من مكايد فأرسل الجند لاعتقاله ، ولكن صموئيل اظله بحمايته . لقد نشب الخلاف بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية ، وآثر الجند جانب النبى على جانب الملك فشملهم شيخ الأنبياء بعطفه وادخلهم فى زمرة المتنبئين .

« فارسل شاول رسلا لأخذ داود . ولما راوا جماعة

---

(١٢٠) رشح الصبى : رباه ، ومنه قولهم « هو يرشح لولاية العهد » اى يربى ويؤهل لها .

(١٢١) العتيد : الحاضر المهيأ

الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفا رئيسا عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم ايضا . واخبروا شاول فارسل رسلا آخرين فتنبأوا هم ايضا . ثم عاد شاول فأرسل ثالثة فتنبأوا هم أيضا »
١ صموئيل ١٩ : ٢٠ ـ ٢١

كان قدامى الاسرائيليين يتلظون بنار الحسد من البلدان المتاخمة ذات الحضارة المتقدمة لوفرة ما ترتع فيه من خصب وما يفاض عليها من رخاء ، وكان الأنبياء اليهود ـ بوجه عام ينفطون ضغنا وسخيمة ، فهم يتوجهون الى الههم بمثل هذا الدعاء على بابل .

« طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة »
مزمور ١٣٧ : ٩

انهم ينشدون الآن هذا فى كنائسهم على انغام الأرغن

وقد نشط أولئك الأنبياء المتعصبون ينثرون التكهنات التى يتوقعون فيها أن تحل النكبات بالبلدان المصاقبة لهم . وبديه أن تلك التكهنات لم تكن أكثر من تعبيرات شعرية عن آمال بنى اسرائيل القومية فى استعباد الأمم المجاورة ونهب بلادهم واخرابها .

« لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد . وخرابا تخرب الأمم »

أشعيا ٦٠ : ١٢

فلقد تكهن النبى حزقيال بخراب مدينة صور ، وبما أن اليهود كانوا أهون من أن ينجزوا ذلك فقد تكهن ذلك النبى بأن اخرابها سيتم على يد ملك أجنبى قوى الشوكة هو ملك بابل ، وقد

أسهب فى تكهنه هذا حتى استغرقت تفصيلاته ثلاثة اصحاحات بتمامها ، فمن ذلك قوله

« لأنه هكذا قال السيد هانذا أجلب على صور نبوخذراصر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بخيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير . فيقتل بناتك فى الحقل بالسيف .. بحوافر خيله يدوس كل شوارعك . يقتل شعبك بالسيف فتسقط الى الأرض أنصاب عزك . وينهبون ثروتك ويغنمون تجارتك ويهدون أسوارك ويهدمون بيوتك البهيجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك فى وسط المياه »

حزقيال ٢٦ : ٧ - ١٢

ولكن نبوخذراصر لم يهدم مدينة صور بل هدمها الاسكندر بعد زمن نبوخذراصر بـ ٢٤٠ سنة ثم أعيد بناؤها ولم تزل منذ ذلك الحين عامرة بالألوف من أهلها .

وكان النبى اشعيا يتمنى أن

« تصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة . لا تعمر الى الأبد ولا تسكن الى دور فدور .. ويملأ البوم بيوتهم »

أشعيا ١٣ : ١٩ - ٢١

ولكن أمنيته لم تتحقق ومازالت تلك المدينة باقية حتى الآن يعرفها الناس باسم « الحلة »

وكذلك لم تتحقق أمنيته بصدد دمشق وقد أفصح عنها فى قوله

« وحى من جهة دمشق . هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم » ..

اشعيا ١٧ : ١

كما لم تتحقق أمنية معاصره وزميله أرميا حيث يقول :

« ارتخت دمشق والتفتت للهـــرب . أمسكتها الرعدة واخذهـــا الضيق والأوجـــاع كماخض ... لذلك تسقط شبانها فى شوارعها وتهلك كل رجـال الحرب فى ذلك اليـــوم يقول رب الجنود . واشعل نارا فى سور دمشق فتآكل قصور بنهدد »

ارميا ٤٩ : ٢٤ ــ ٢٧

وقد مر على دمشق بعد ذلك زهاء ٢٦ قرنا دون أن تلتهمها النيران وتحولها كومات من الأنقاض وقـد كانت غوطة (١٢٢) دمشق وما برحت واحدة من منازه الدنيا المعدودة فهى جنـــة فيحاء يتفيأ ظلالها قرابة ٧٠٠ر٠٠٠ من النسم .

وكان أولئك الأنبياء أشد ما يكونون حقدا على مصر ، فهـم لا يفتأون يدعون عليها بالخراب والثبور (١٢٣) ويتوقعون لها ــ أو بالاحرى يتمنون لها ــ أن تذل وتصبح هدفا لشماته الأعداء .

« واشتت المصريين بين الأمم وأذريهم فى الأراضى واشدد ذراع ملك بابل واجعل سيفى فى يده . واكسر ذراعى فرعون فيئن قدامه أنين الجراح »

حزقيال ٣٠ : ٢٣ ــ ٢٤

---

(١٢٢) الغوطة : مجتمع النبات والماء . وغوطة دمشق موضع بالشام كثير الماء والشجر وهى احدى الجنان الأربع

(١٢٣) ثبر : هلك ، ومنه أعوذ بك من دعوة الثبور « واما من أوتى كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبورا » الانشقاق ١٠ ــ ١١

أى يدعو الله أن ينزل عليه الهلاك .

« ويأتى سيف على مصر ... من مجدل الى أسوان يسقطون فيها بالسيف ... انى أبيد ثروة مصر بيد نبوخذراصر ملك بابل ... وأضرم نارا فى مصر ... واشتت المصريين بين الأمم وأذريهم فى الأراضى »

حزقيال ٣٠:٤ ـ ٢٣

وقد خاب فأل حزقيال فى ذلك كله ، فلم يتشتت المصريون بل كان الشتات مصير اليهود وكذلك خاب فأل أشعيا حيث قال :

« وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه

وتنشف المياه من البحر ويجف النهر ويبيس . وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقى مصر .. فى ذلك اليوم تكون كالنساء فترتعد وترجف من هزة يدرب الجنود التى يهزها عليها وتكون أرض يهوذا رعبا لمصر »

أشعيا ١٩ : ١ ـ ١٧

لقد أفقد الحقد على مصر أولئك الأنبياء اتزانهم حتى طوعت لأشعيا نفسه أن ينضو عنه ثيابه ويمشى عاريا فى الأسواق كاشفا عن سواته يدعو الهه أن يسلط أشور ذات البأس والجبروت على أهل مصر فتلحق بهم هزيمة ماحقة وتسوقهم الى بلادها يرسفون فى أغلال الأسر وهم عراة حفاة على النحو الذى يعرضه أشعيا على يهوه متخذا من نفسه وسيلة ايضاح .

« فى ذلك الوقت تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموص قائلا . اذهب وحل المسح عن حقويك واخلع حذاءك

عن رجليك ففعل هكذا ومشى معرى وحافيا (١٢٤) فقال الرب كما مشى عبدى أشعياء معرى وحافيا ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش (١٢٥) هكذا يسوق ملك أشور سبى مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة مكشوفى الاستاه خزيا لمصر (١٢٦) »

أشعيا ٢٠ : ٢ ـ ٤

أجل ، لقد كان اولئك الأنبياء كثيرا ما يعوزهم الاتزان فيأتون من السخافات اشكالا والوانا . انظر الى حزقيال وهو يبدى استياءه من الأحوال التى تسود البلاد معلنا فى أسلوب فج (١٢٧) انه سيخبز خبزه على الغائط الذى يخرج من الناس .

« وتأكل كعكا من الشعير . على الجزء الذى يخرج من الانسان تخبزه أمام عيونهم » .

حزقيال ٤:١٢

وانظر الى هوشع يبدى مسوغات زواجه احدى المومسات

« قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى

---

(١٢٤) وقد سبقه الى ذلك الملك داود واذ تعرى ورقص أمام الرعية فزجرته فانتقم منها (٢ صموئيل ٦ : ٢١)

(١٢٥) الكوشيون هم سكان شرق أفريقيا أى الصوماليون والأحباش وسكان شمال السودان .

(١٢٦) من الواضح أن أشعيا كان يعنى بتكهناته هذه أن تلك الاحداث ستقع فى زمنه هو أو بعده بقليل لا فى أيامنا هذه . فمن الخطل أن يلتمس بعضهم فى تلك التكهنات المشئومة وفى أسرار الهرم الأكبر المزعومة دليلا على شر متوقع فى هذا العصر.

(١٢٧) الفج من كل شىء : ما لم ينضج .

واولاد زنى . لان الأرض قد زنت زنى تاركة الرب » هوشع١:٢
ولا عجب فى ان يتزوج نبى من بنى اسرائيل بمومس بعد ان افترع النبى الاسرائيلى لوط ابنتيه .
« فسقتا اباهما خمرا فى تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها .. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما »
تكوين ١٩ : ٣٣ ـ ٣٦

وبعد ان تخلى ابو انبيائهم ابراهيم عن امراته سارة لفرعون واصاب من جراء ذلك ثروة وافرة

« وصار له غنـــم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال »

ثم تخلى عنها مـــرة اخرى لآخـــر من ملوك الممـــالك المجاورة (١٢٨)

« وقال ابراهيم عن سارة امراته هى اختى . فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة »
تكوين ٢٠ : ٢

وبعد ان سار ابنه اسحق ابو اسرائيل على خطاه

« وساله اهل المكان عن امراته . فقال هى أختى . لأنه خاف أن يقول امراتى لعل اهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر »
تكوين ٢٦ : ٧

---

(١٢٨) وقد تبين بعد مراجعات حسابية لم يفطن اليها كتاب التوراة أن سارة كانت فى ذلك الوقت تناهز التسعين من عمرها ، فتأمل .

١٣

يهـــــوه

مر العبريون بمختلف المراحل العقائدية التى مر بها غيرهم من العشائر البدائية ، فانتقلوا من المذهب الطبيعى (ناتورزم) الى المذهب الحيوى (انيمزم) وعبدوا قوى الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب والأشجار والأحجار وعرفوا الآلهـــه المتعددين ذوى الاختصاصات المحدودة ولبثوا يعبدونها دهرا قبل أن يتجهوا صوب الاله الواحد

وكان من أسماء آلهتهم القدامى ((ايل)) ام ومن ثم فـــان يعقوب (اسرائيل)

((أقام هناك مذبحا ودعاه أيل اله اسرائيل))
تكوين ٣٣ : ٢٠

وقد عبدوا ((أنات)) ملكة السماوات وهى الهـــة سامية قديمة

((بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا وفى شوارع اورشليم فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شيئا))
ارميا ٤٤ : ١٧

وعبدوا كذلك ((اشيما)) اله النار والأوبئة عنـــد البابليين

وقـــد كان ((يهوه)) ايضا الها للنار وذلك ما جعله يتراءى لموسى فى شجيرة مشتعلة .

« وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقدبالنار والعليقة لم تكن تحترق »
خروج ٣ : ٢

كما انه كان الها للأوبئة

« قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى »
حبقوق ٣ : ٥

ويعتقد بعض الباحثين أن يهوه هو مولك Moleck الذى كانوا يحرقون أطفالهم تضحية له والذى بنى لـه الملك سليمان « مرتفعة » يعبدونه فيها

« حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون»
املوك ١١ : ٧

ومولك معناها ملك ، وقد كان ، « ملك » من ألقاب يهوه المعروفة . ويبدو أن كلا من يهوه ومولك قد عبد فى صورةالعجل.

كان يهوه أول أمره الها من آلهة الطبيعة . كان الها للجبال ثم أصبح الها قبليا مقاتلا لأن رجال القبيلة التى عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوى شوكة وبأس ، وظل هذا شأنه حتى السبى البابلى ، ثم شملته حركة الترقيات فأصبح عميدا للآلهة فى فلسطين على مثال مردخ Merodach فى بابل وزيوس Zeus فى اليونان ، ولهذا نرى سفرى التثنية ويشوع يصوران يهوه فى صورة الطاغية الذى يهيمن على سائر الآلهة .

« اله الآلهة الرب ، اله الآلهة الرب ، هو يعلم » .
يشوع ٢٢ : ٢٢

ولسنا نعرف متى ظهر اسم يهوه أول مرة والأرجح أن ذلك

كان بعد أن استوطن اليهود كنعان . وكان النطق بهذا الاسم محظورا الا فى مقامات خاصة .

« لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من ينطق باسمه باطلا » .. خروج ٢٠ : ٧

وكانوا يكتبون اسم يهوه بالأحرف الأربعة ى . هـ . و . هـ . J. H. V. H. دون ان يدعم باحرف العلة . اى دون ان يضبط بعلامات الشكل لخلو اللغة العبرية منهـا اذ ذاك وهكذا ورد اسمه فى « الماصورا »(١٢٩) ومن ثم كان من الممكن ان يقرأ الاسم « يهوه » او « ياهو » وقد ظهر الاسم الأخير مضافا او مضافا اليه فى بعض أسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الكتاب المقدس مثل « ايلياهو » ومعناه ربى هو ياهو و « ياهوملك » ومعناه ياهو ملك .

ولما ابتكرت علامات ضبط الحروف العبرية فى القرن السابع الميلادى كان رجال القارىء فى السيناجوج (المعبد)يتورعون عن النطق باسم الله ، اذ كان ذلك محرما على اليهود كما هو محرم على بعض الشعوب البدائية الأخرى ، ولهذا جعلوا يستخدمون بدلا من « لفظ الجلالة » كلمة « ادوناى » أو «أدونا» اى ربى ، وقد اثرت هذه الوساوس والشكوك فى اصحاب الترجمة السبعينية(١٣٠) فكانوا يتحامون ذكر اسم الله الا فيما ندر وادرجوا بدلا منه كلمة « هوكوريوس » اى الرب . وركب

---

(١٢٩) وهو كتاب قراءات التوراة ويتضمن متن التوراة وعلى هامشه تعليقات مسهبة لضبط الألفاظ المكتوبة .

(١٣٠) اشترك نحو سبعين عالما قبل الميلاد بقرن ونصف قرن فى ترجمة « العهد القديم » فى الاسكندرية من العبرية الى اليونانية ليستفيد بهذه الترجمة اليهود الموطنون بمصر ومن اليهم ..

اليهود آخر الأمر لكلمة يهوه أحرف العلة التى بكلمة ادونا Edona فأصبح الاسم يكتب على وزانها Je Ho Va H وينطق Jahweh يهوه

ومعنى هذا الاسم سر مجهول وقد يكون معناه « أنا الذى (هو) أنا » أو « الخالد » . وفى كتاب الفرس المقدس يقول اهورا مزدا لزرادشت « أنا الذى هو أنا » . وفى « كتاب الموتى » يرمز قدماء المصريين الى الحياة بكلمة « عنخ » ومعناها « ذاك الذى يعيش » .

وقد انتابت دين اليهود تغيرات تترى لم تقتصر على أن استبدلت :

باسم أبرام مؤسس هذا الدين اسم ابراهيم وباسم الجماعه القومى « اسرائيليون » اسم يهود بل شملت كذلك اسم الله ، فكان :

الوهيم فى قصة	نوح
الشداى فى قصة	ابرام
يهوه فى قصة	يعقوب

وكان هذا الاله فى بادىء الأمر يلقب نفسه بـ « اله ابراهيم واسحق ويعقوب » .

« وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل ، يهوه اله ابرهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم » .
خروج ٣ : ١٥

ثم أصبح يلقب نفسه بـ « اله العبرانيين » .

« تدخل انت وشيوخ بنى اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له الرب اله العبرانيين التقانا » ..
خروج ٣ : ١٨

ثم باله اسرائيل .

« وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب اله اسرائيل اطلق شعبى ليعيدوا لى فى البرية » . خروج ٥ : ١

ولم يدع قط انه اله البشر اجمعين ، بل هو على النقيض من ذلك أقر بأن ثمة آلهة آخرين وأبدى غيرته منهم ، فقد كانت السماء فى ذلك الوقت تغص بالآلهة ، منهم عشتورت الاهة الصيدوبين وكموش اله المؤابيين وملكم اله العمونيين وهلم جرا . ولم يكن اله العبرانيين الا واحدا من !ولئك الآلهة القبليين الذين كانوا يعبدون فى عهد البداوة ، وقد جعل أولى وصاياه العشر

« لا يكن لك آلهة اخرى امامى » ..

خروج ٢٠ : ٣

وكرر هذا المعنى غير مرة .

« فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكل امانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدو الرب » .. يشوع ٢٤ : ١٤

« من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك » ..

خروج ٢٢ : ٢٠

ونرى من حديث يفتاح الجلعادى الى ملك بنى عمون فى أمر كموش اله المؤابيين أن يفتاح كان يعد كموش الها حقا مثل يهوه .

« والآن الرب اله الاسرائيليين قد طرد الأموريين من امام شعبه اسرائيل افانت تمتلكه . اليس ما يملكك اياه كموش تمتلك وجميع الذين طردهم الرب الهنا من امامنا فاياهم نمتلك » .. قضاة ١١ : ٢٣ ــ ٢٤

كان عباد يهوه يعتقدون أنه الاله الواحد عندهم ولكنهم لم يكونوا يعتقدون انه الاله الوحيد فى العالم كله ، وكانوا يتحدثون

عنه بقولهم « ربنا » أى رب بنى اسرائيـــل وحدهم ، وكانوا يفاخرون به الشعوب والقبائل المتاخمة التى تعبد آلهة يراها اليهود دون يهوه شأنا .

« لا مثل لك بين الآلهة يارب » مزمور ٨٦ : ٨
« لأنى عرفت أن الرب عظيم وربنا فوق جميـــع الآلهة » .. مزمور ١٣٥ : ٥

« وسقط أخزيا من الكوة التى فى عليته التى فى السامرة فمرض وأرسل رسلا وقال لهم اذهبوا اسألوا بعل زبوب اله عقرون ان كنت أبرأ من المرض . فقال ملاك الرب لا يليا التشبى . قم اصعد للقاء ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد فى اسرائيل اله تذهبون لتسألوا بعل زبوب اله عقرون » .

٢ ملوك ١ : ٢ ـ ٣

« أيها الرب اله اسرائيل . ليس اله مثلك فى السماء من فوق ولا على الأرض من تحت » املوك ٨ : ٢٣

١٤

صفات يهـــوه

كان لبعض الفرق اليهودية آلهة محليون بقى طرف من آثار عبادتهم حتى زمن ارميا عندما غزا البابليون يهوذا

« لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يايهوذا » ..

ارميا ١١ : ١٣

اجل كانت عبادة بنى اسرائيل للالهة المحليين قد اضمحلت بوجه عام عندما توثقت عرا الوحدة السياسية فى أيام داود وسليمان وتركزت العبادة فى الهيكل الذى بناه ســـليمان (٩٧٠ ــ ٩٣٦ ق . م) فى أورشليم ، لولا ان تلك الوحدة ما نشبت أن انفرط عقدها اذ انقسمت مملكة اليهود عقب موت سليمان الى مملكتين صغيرتين :

١ ــ اسرائيل فى الشمال وحاضرتها السامرة ، وقد دمرها الأشوريون سنة ٧٢٢ ق . م بقيادة سرجون الثانى ووضعوا نهاية لتلك المملكة .

٢ ــ يهوذا فى الجنوب وحاضرتها أورشـــليم(١٣١) وقـــد اخربها البابليون بقيادة ملكهم بختنصر(١٣٢) سنة ٥٨٦ ق . م وسبوا عددا غفيرا من أهلها ساقوهم الى بابل حيث عاشوا عبيدا مسخرين الى أن غزا الملك الفارسى كيروش (قورش) الكبير بابل سنة ٥٣٨ ق . م واطلق من بها من اليهود وقد اشربوا حضارة

---

(١٣١) اى مدينة السلام .

(١٣٢) وترسم المطبوعة العربية من الكتاب المقدس اسمه هكذا « نبوخذ نصر » والرسم الصحيح هو نبوكودوروزور — Nabu Kudur — Uzur

أعرق من حضارة العبريين وأرقى ، وخبروا ما كان للبابليين من مناسك واحتفالات تعبدية وقصص دينية فلما قفلوا الى اسرائيل اذا هم يجدون من بقوا فيها من الطغام قد لابسوا من حولهم من الشعوب وتطبعوا بطباعهم وعبدوا آلهتهم ، فلم يجد الكهنة بدا من التنديد باولئك الآلهة الأجناب . وكان من أثر الذلة التى ضربت على بنى اسرائيل فى الأسر زهاء نصف قرن أن عمدوا الى التشبه بالههم القومى والازورار عن منافسيه . ولكن ذلك لم يكن هو التوحيد بالمعنى العلمى للكلمة .

وقد فند و. روبرتسن سميث القول بأن اليهود أسهموا فى ادخال التوحيد على العقائد الدينية وأوضح أن ما يسمونه الاتجاه نحو الوحدانية ان هو الا الاتحاد بين الدين والحق الملكى

ونحن حين نتحدث عن وحدانية الله نتحدث ضمنا عن البعث فى يوم الدينونة ومجازاة المسىء بالعقوبة والمحسن بالمثوبة ، فذلك من متممات معنى الألوهية ووحدانيتها ، وبغيره يكون الايمان بالوحدانية ناقصا غير تام . بيد أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث والجزاء بعده ولم يكن يدور فى أخلادهم شىء عن النعيم والجحيم فى الدار الأخرى ولم يعرفوا شيئا من أمر الملائكة المجنحين الا بعد أن شاهدوا صورها فى الآثار البابلية مدة سبيهم فى بابل ، ولهذا عد النقاد ذكر الملائكة فى الآية .

« وسمعت صوت انسان بين أولاى فنادى وقال ياجبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا » ..

دانيال ٨ : ١٦

دليلا قاطعا على أن سفر دانيال لم تخطه يراعة النبى دانيال عند سقوط بابل فى يدى قورش سنة ٥٣٨ ق . م بل كتبه آخرون بعد ذلك بثلاثة قرون او اربعة حول سنة ١٦٤ ق .م.

والمقصود بالشبه هنا هو الشبه فى شكل الجسم . وفى الحق انه لمن العسير أن يتصور المرء الها ذا شخصية (*) على هيئة حصان أو عصفور أو ما الى ذلك فمن المألوف ذهنا أن يقترن الشكل بالمقدرة العقلية . وقد وصف بعضهم الله بأنه ((روح)) فلم تنقل هذه الكلمة الينا معنى واضحا . ان محاولة تجريد الله من الشكل تنتهى بنا الى مذهب وحدة الوجود القائل بأن الله حال بكل شىء .

ويوصف يهوه بأنه مشاكل للانسان (١٣٧) فى شكله وعواطفه وأسلوب معاشه فهو يسكن فى بيت

(*) وهو الذى تنادى به الأديان وتعزو اليه انه يتحكم فى الكون وأن مصير أفراد الناس رهن بمشيئته فهو يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بما صنعوا ، وذلك بخلاف الاله غير ذى الشخصية impersonal god وهو الذى ترى طائفة من المفكرين أنه خلق العالم وأودعه قوانين ثابتة يسير بمقتضاها ثم انقطعت بعد ذلك كل صلة مباشرة له بشؤون الخليقة ومصير الانسان ، ومن ثم فلا عقاب ولا ثواب .

(١٣٧) anthropomorphic وهذه الكلمة تتركب من لفظين يونانيين anthropos ومعناها انسان و morphe ومعناها شكل وكلمة شاكلة تعنى ماثلة ، تقول فى فلان مشاكله من أبيه اى شبه منه .

ويختلف الآلهة المشابهون للانسان عن أولئك المشابهين للشمس وما اليها من الأجرام الطبيعية ، مثل مردك وأمون ر واتون .

ولقد أدى بالناس اعتقادهم فى مشاكلة الله لهم ومداخلته اياهم فى شؤونهم الى شل أذهانهم وعرقلة تقدمهم والى قعودهم عن تقصى أسباب المرض لأنه كان فى حسبانهم عقابا لهم من الله=

« حينئذ تكلم سليمان . قال الرب انه فى الضباب.
انى قد بنيت لك بيت سكنى مكانا لسكناك الى الأبد » .
اعلوك ٨ :١٢ ـ ١٣

« ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن
فيه » .. متى ٢٣ : ٢١

وهو يفرض على عابديه فرائض من حيوانات ..
« صحيحة لا عيب فيها »
عدد ١٩ : ٢٠

ويطلب اليهم اتحافه بالبواكير من ثمار الموسم ويسلط السباع

على ما اقترفوا من آثام ، ومن هنا ثارت ثورة رجال الدين عندما لجأ الجراحون أخيرا الى استخدام مواد التخدير (البنج) وأعلنوا أن الله فرض الألم على بنى آدم عقابا لهم على خطاياهم ، وأن تلطيف آلام الولادة يخالف نصا صريحا فى التوراة هو :
« بالوجع تلدين أولادا
تكوين ٣ : ١٦

وأنكروا على المتمدنين المهذبين أن يستعينوا فى أكلهم بالشوكة والسكينة ، محتجين بأن الله خلق لنا الأصابع لنأكل بها . وعندما اخترع بنيامين فرنكلين قضيب الصاعقة قالوا انه اخترع « قضيب الكفر والالحاد » ليسلب الله مقدرته على ايقاع العقاب بمن يثيرون غضبه . وعندما اخترع توماس ا . اديسون المصباح الكهربى زعموا أن هذا المصباح يبطل ما اقتضته مشيئة الله من جعل العالم مظلما فى الليل . ووصفوا الطائرة التى اخترعها الأخوان « رايت » بأنها مخترع الحادى تجديفى سوف يتخذ لاقتحام ملكوت الله وبأنها اهانة طائرة الى وجه الله . وهلم جرا .

اجل ، كان اليهود يعتقدون أن من أثم منهم لقى عقابه فى العاجلة ، فرتبوا على ذلك أنه اذا أصاب امرءا منهم أذى فى نفسه او فى عياله أو ماله كان ذلك دليلا على أنه سلف له اقتراف اثم كبير يطلقون مخيلاتهم فى تصوره ويلصقونه به .

ولما برهنت المشاهد المتكررة على فقدان الارتباط بين ما يأتيه الانسان من خير أو شر وما يلقاه فى حياته من هناءة أو شقاوة(١٣٣) لم يكن هناك مناص من القول بأن العقاب والثواب يحدثان فى حياة أخرى بعد الموت . وقد وردت اول اشارة فى العهد القديم الى يوم كيوم البعث فى سفر أشعيا ، وقد عاش اشعيا فى نحو القرن الثالث ق . م .

ان القول بأن فكرة الوحدانية طرقت اذهان العبريين فى سيناء خطأ لا يقل فى جسامته عن القول بأن لغات البشر كان منشؤها عند برج بابل . لقد كانت أمخاخ العبريين الذين نحلهم أحفادهم ابتكار الوحدانية لا تسمو كثيرا على مخ الانسان الشبيه بالقرد ، فلم يكن فى طوقهم أن يتصوروا صورة ثقافية كهذه.وكل ما حدث هو أن موجة من التعصب القومى غمرت اليهود فى زمن متأخر اثر عودتهم من السبى البابلى ، وان رجال الكهنوت آنسوا فى هذا الاتجاه كسبا أدبيا ومغنما ماديا لهم فعاضدوه وناصروه(١٣٤)

---

(١٣٣) وقد عرضوا لهذا الموضوع على نحو ما فى سفر أيوب ..

(١٣٤) وكان أشهر الذين حملوا على تعدد الآلهة وعبادة الأصنام متنبىء برزبين اليهود المسبيين فى بابل ومضى يبشرهم باقتراب زمن تحررهم وحلول الكوارث بآسريهم ، وهو كاتب الاصحاحات ٤٠ الى ٥٥ من سفر أشعيا ، وليس يعرف اسمه ولكن القوم تواضعوا على تسميته أشعيا الثانى .=

ومن ثم أمسك يهوه عن الشرك بنفسه وانثنى ينادى بانه الاله الأوحد لا اله غيره .

« انا الرب وليس آخر . لا اله سواى » ..
أشعيا ٤٥ : ٥

وأقبل يزعم أنه هو الذى فطر السماوات والأرض وبرأ الخليقة طرا وأنه هو الذى يحفظ على الكون كيانه ويصرف أموره ويزجى السحب لتهمى أفاويقها(١٣٥) على شعبه المختار فتخرج الأرض لهم ثمارا يقتاتونها وتنبت لما شيتهم كلأ تعتلفه .

وهكذا كملت صورة الاله الواحد يهوه ، الذى لم يخلق اليهود بل كان اليهود هم الذين خلقوه فجاء على صورتهم وفى مستواهم العقلى(١٣٦) وناهيك .

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » ..
تكوين ١ : ٢٦

= «بمن تشبهوننى وتسوونني وتمثلوننى لنتشابه.. الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة بالميزان يزنون يستأجرون صائغا ليصنعها الها يخرون ويسجدون يرفعونه على الكتف . يحملونه ويضعونه فى مكانه ليقف. من موضعه لا يبرح . يزعق أحد اليه فلا يجيب . من شدته لا يخلصه » .

أشعيا ٤٦ : ٥ ـ ٧

(١٣٥) الفيقة : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الجلبتين - أفاويق . والأفاويق ما اجتمع من السحاب ، فهو يمطر ساعة بعد ساعة.

(١٣٦) ولا غرو فى ذلك فانه لم يخلق قط اله يسمو فوق مستوى عابديه ، بل ان الاله كان أحرى أن يمثل أدنى فئاتهم .

الضارية والحيات اللوادغ والأوبئة الفتاكه على من يعصيه ويخالف عن أمره .

وله مثل ما لنا من جوارح .

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » .. خروج ٣١ : ١٨

وله حواس كحواسنا ، ومن ذلك أنه شم ريح القتر مما شواه له نوح من اللحم بعد ما رست به سفينته على البر عند انحسار الطوفان

« فتنسم الرب رائحة الرضا » .

تكوين ٨ : ٢١

وتنتابه انفعالات كانفعالاتنا : فهومستشيط غضبا ثم يبوح(١٣٨) غضبه فيمسك عن الاسترسال فيه .

« فحمى غضب الرب على موسى » ..

خروج ٤ : ١٤

« وبسط الملاك يده على اورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى . الآن رد يدك »

صموئيل ٢٤ : ١٦

وهو يغار من الآلهة الآخرين

« فانك لا تسجد لاله آخر لأن الرب اسمه غيور اله غيور هو »(١٣٩) .

خروج ٣٤ : ١٤

---

(١٣٨) باخ الحر والحمى والغضب : سكن وفتر .

(١٣٩) الترجمة الصحيحة هى : لأن الرب الذى اسمه الغيور هو اله غيور .

ويغار من مخلوقاته ، فقد طرد آدم من جنة عدن لأنه هدى النجدين(١٤٠) وميز بين السبيلين سبيل الخير وسبيل الشر عندما أكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر ، وكانت المعرفة بهما حتى ذلك العهد مما انفرد به الآلهة دون البشر .

« وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » .

تكوين ٣ : ٢٢

وقد أغرق الخلق بالطوفان ، لم يستثن منهم غير نوح وذريته، ثم أثار الفرقة بين تلك الذرية لكيلا يتسنى لهم بناء مدينة فى أرض شنعار ، وهى المدينة التى كفوا عن ابتنائها وأسميت بابل

« وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض . فكفوا عن بنيان المدينة » .

تكوين ١١ : ٦ ـ ٨

لقد جعل الاسرائيليون الههم صورة منهم ، وقد رسم الكهنة هذه الصورة بمداد من الدم فاذا هو الـه راعب يلتذ الأنين والتنهدات يظل الانسان ما عاش يرتجف بين يديه من الهلع غير السمع والطاعة فليس له . ولقد عزوا الى هذا الاله أقوالامن بنات أفكارهم ونحلوه أعمالا من تلفيق مخيلاتهم ، ووصفوه : بأنه وحش مفترس .

---

(١٤٠) النجد : المكان المرتفع ويراد به هنا الطريق . قيل فى تفسير الآية « وهديناه النجدين » أن النجدين هما الطريقان ، أى طريق الخير وطريق الشر .

« فانى أنا افترس وأمضى آخذ ولا منقذ » .
هوشع ٥ : ١٤

« أصدمهم كدبة مثكل وأشق شغاف قلبهم وآكلهم هناك كلبوة يمزقهموحش البرية » .
هوشع ١٣ : ٨

وبأنه غشاش مخادع .

« فقلت آه ياسيد الرب حقا انك خداعا خادعت هذا الشعب وأور شليم قائلا يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس » ارميا ٤ : ١٠

« قد اقنعتنى يارب فاقتنعت وألححت على ففلبت(١٤١) . أرميا ٢٠ : ٧

وبأنه ولوع بالخمر .

« فقالت الأشجار للكرمة تعالى وأملكى علينا فقالت لها الكرمة أأترك مسطارى الذى يفرح الله والناس واذهب لكى أملك على الأشجار » .
قضاة ٩ : ١٢ ـ ١٣

وبأنه اكول منهوم ، زار خليله ابرهيم ذات يوم وتناول الطعام عنده هو واثنان من ملائكته فأكرم ابرهيم وفادتهم وأحسن قراهم .

« ثم اخذ زبدا ولبنا والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم . واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا » . تكوين ١٨ : ٨

---

(١٤١) الترجمة العربية تفتقر الى الأمانة وصوابها هو : قد خدعتنى عن نفسى فخدعت لأنك أقدر منى .

وأولم له نوح وليمة شواء عقب انحسار الطوفان ، كما سلف ، فعفا عن البشر وآلى على نفسه ألا يغرقهم بالطوفان مرة أخرى .

« وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الانسان »

تكوين ٨ : ٢٠ ـ ٢١

ورموه بالعجز

« وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ، ولكن لم يطرد سكان الوادى لأن لهم مركبات حديد » قضاة ١ : ١٩

وهى ترجمة تفتقر الى الامانة وصوابها :

ولكنه (الرب) لم يقو على دحر سكان الوادى .. ان صورة هذا الاله الغضوب الذى يشير الينا بأصبعه متهددا وهو يصرخ فى وجوهنا : لا تفعلوا كذا واياكم وكذا وويل لمن يفعل كذا ، هى اكبر عثرة فى سبيل الانسانية الساعية الى تحرير نفسها من الخوف والجهل والى تطهير ذهنها من أساطير الهمج البدائيين .

١٥

الضحايا البشرية

كان يهوه ، كغيرة من آلهة الشعوب المنحطة ، يتطلب من بن
الانسان اضاحى بشرية .

« لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وابكار بنيك
تعطينى » خروج ٢٢ : ٢٩

وهذه الترجمة تعوزها الدقة والترجمة الصحيحة هى :
« لا تتوان فى تقديم باكورة ما ينضج من ثمرك وماتعص
من خمرك ، وهب لى البكر من ولدك »

فاذا نذر امرؤ ابنه للرب فى لحظة من لحظات الضعف النفسى
والتهوس الدينى لم يكن له أن يعدل عن ذلك وأن يفتدى ابنه
بالمال ، وعليه أن يسوق بنفسه فلذة كبده الى حيث يجرع
كاس المنون .

« كل محرم يحرمه انسان للرب من كل ماله من الناس
والبهائم ومن حقول ملكه فلا يباع ولا يفك . ان كل
محرم يحرم من الناس لا يفدى . يقتل قتلا » .
لاويون ٢٧ : ٢٨ ـ ٢٩

« وكان جوع فى أيام داود ثلاث سنين سنة
بعد سنة . فطلب داود وجه الرب . فقال الرب
لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين .
فلنعط سبعة رجال من بنيه فنصلبهم للرب فى جبعة
شاول مختار الرب فقال الملك انا اعطى .. فأخذ الملك
ابنى رصفة ابنى أية اللذين ولدتهما لشاول ارمونى
ومفيبوشت وبنى شاول الخمسة الذين ولدت

لعدريئيل ابن برزلاى المحـــولى . وسلمهم الى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبال امام الرب(١٤٢) »
٢ صموئيل ٢١ : ١ ـ ٩٤

وتبلغ التضحية بالبشر ذروتها فى قصة يفتاح بن جلعاد ، وهى قصة يرمز بها الى التضحية بالهة عذراء (١٤٣)

« ونذر يفتاح نذرا للرب قائلا . ان دفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى بالسلامة من عند بنى عمون يكون للـ ، وأصعده محرقة ... ثى اتى يفتاح الى المصفاة الى بيته . واذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص . وهى

---

(١٤٢) وبهذه التعلة المختلفة استأصل داود ذرية عدوه شاول الذى كان أول من ولى لملك فى اسرائيل . وقد بنى عرشه على أنقاض حكومة الكهان فاضطغنوا عليه واضمروا له الكيد واستعانوا على ذلك بداود وقد الحقوه بحاشية القصر فكان يدبر للملك حلقات الزار بعد أن أوهم أولئك الكهان الأشرار انه قد ركبته الأرواح الشريرة .

وفى هذه الآيات الموحى بها خطأ لا معدى عن التنبيه اليه ، هو ان ابنه شاول التى تزوجها عدريئيل المحولى وكان له منها خمسة الأولاد الذين ذبحهم داود لم تكن « ميكال » بل اختها الكبرى « ميرب » وكان شاول قد وعد داود بها بادىء الأمر ولكنه اخلف وعده ثم ارتضى أن يزف اليه ابنته الصغرى ميكال أما ميكال التى تزوجها داود ثم هجرها فى المضجع فقد ماتت دون أن تعقب .

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد الى يوم موتها »
٢ صموئيل ٦ : ٢٣

(١٤٣) وعند بعض الشراح المسيحيين أن التضحية بالفتاة قد استبدلت بها العذراوية الدائمة عند الراهبات .

وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها .. وكان لما رآها انه مزق ثيابه وقال آه يا ابنتى قد احزنتنى حزنا وصرت بين مكـــدرى لانى قد فتحت فمى الى الرب ولا يمكننى الرجوع . فقالت له يا أبى هل فتحت فاك الى الرب فافعل بى كما خرج من فيك بما ان الرب قد انتقم لك من اعدائك بنى عمون . ثم قالت لابيها فليفعل لى هذا الأمر . اتركنى شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكى عذراويتى انا وصاحباتى . فقـــال أذهبى وأرسلها الى شهرين . فذهبت هى وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال وكان عند نهاية الشهرين انها رجعت الى ابيها ففعل بها نذره الذى نذر وهى لم تعرف رجلا . فصـــارت عادة فى اسرائيل أن بنات اسرائيل يذهبن من سنة الى سنة لينحن على بنت يفتـــاح الجلعادى أربعة أيام فى السنة .

قضاة ١١ : ٣٠ ـ ٤٠

ويبدو مما كتبه ميخا نحو سنة ٧٠٠ ق.م وما كتبه حزقيال بعـد ذلك بسنوات ان اليهود لم ينفـكوا يحرقون بنيهم وبناتهم قرابين ليهوه حتى عصر متأخر غدت فيه التضحية ببنى الانسان امرا يبعث على النفور ويثير الحنق فاعتاض القوم من الاضحيات البشرية أضحيات من الخراف وما اليها كما نرى فى قصـــة ابراهيم وولده اسحق . وأنكر الأنبياء المتأخرون هذه التضحية فقالوا على لسان يهوه

« هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى »

« وبنوا مرتفعات توفة التى فى وادى ابن هنوم (١٤٤)

---

(١٤٤) وهو فى العبرية Ge-hinnom وانتقل هذا اللفظ الى الحبشية فأصبح Gahannam بالجيم المصرية وانتقل من =

ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار ، الذى لم آمر به ولاصعد على قلبى » ارميا ٧ : ٣١

ولكن يهوه ليس بمستطيع أن يتنصل مما أسلف من أوامر وان يبهت من خلوا من أنبيائه فى وجوهم ويجبههم بالتكذيب ، فكان عليه أن يلتمس لنفسه عذرا من اصداره تلك الأوامر التى جاء اليوم ينسخها ويبرر فرضها عليهم فيما مضى .

« تمرد على بيت اسرائيل فى البرية . لم يسلكوا فى فرائضى ورفضوا أحكامى التى ان عملها انسان يحيا بها ونجسوا سبوتى كثيرا . ففلت انى اسكب رجزى (١٤٥) عليهم فى البرية لافنائهم .. ورفعت يدى لهم فى البرية لأفرقهم فى الأمم وأذريهم فى الأراضى ... واعطيتهم ايضا فرائض غير صالحة وأحكاما لا يحيون بها . ونجستهم بعطاياهم اذ أجازوا فى النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أنى أنا الرب حزقيال ٢٠ : ١٣ ـ ٢٦

يعنى انه أنزل عليهم هذه الشريعة الفاسدة على عمد وفرض عليهم التضحية بأفلاذ أكبادهم بغية ايذائهم والتنكيل بهم ليعلموا انه الرب .

= الحبشية الى العربية فهو جهنم . وبعد ان كان علما على الوادى القريب من القدس (وهو يدعى الآن وادى الربانى) وكان الوثنيون يقربون فيه صبيانهم أصبح الآن علما على الموضع الذى فى السماء الذى فيه يصلى الآثمون عذاب السعير .

(١٤٥) الرجز : القذر و العذاب . يقابل هذه الكلمة فى الترجمة الانجليزية Fury يعنى السخط والهياج .

لقد كان يهوه دائما طلوبا للقرابين ، ولطالما عمرت مائدته بالوان من لحوم الأطفال والرجال والأبقار والأغنام ، وكان آخر اضحية قدمت له هو ابنه الوحيد يسوع ، فما أن ارتوى بدمه المسفوح حتى فكه وطابت نفسه وأصبح يؤثر المال الصامت ، الذهب والفضة ، على صنوف اللحوم جمعاء ، فمضى يحض الخلق على افتداء بنيهم وأداء مال الفدية اليه .

« وكل بكر انسان من أولادك تفديه »

خروج ١٣ : ١٢

« كل بكر من بنيك تفديه » خروج ٣٤ : ٢٠

« غير انك تقبل فداء بكر الانسان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه » عدد ١٨ : ١٥

١٦

اله فى صندوق

وأمر يهوه ، القادر على كل شيء الحال بكل مكان بان يصنعوا له صندوقا يقبع فيه ، وبين أوصافه وحدد مقاييسه وعين اسم النجار الذى يعهد اليه فى صنعه ونوع الخشب الذى يتخذ منه وصور التماثيل التى يحلى بها غطاؤه ، وأسهب فى ذلك غاية الاسهاب ومن ذلك قوله

« وتصنع غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء (١٤٦) فاصنع

---

(١٤٦) يقابله فى الانجليزية mercy seat اى عرش الرحمة وهو الغطاء الذهبى لتابوت العهد اليهودى القديم .

كروبا (١٤٧) واحدا على الطرف من هنا وكروبا آخر على الطرف من هناك .. وانا اجتمع بك هناك واتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما اوصيك به الى بنى اسرائيل »

خروج ٢٥ : ١٠ ـ ٢٢

وقد كان هذا الاله الثاوى فى الصندوق محرم الرؤيةواللمس على الناس باستثناء الكهنة وحدهم ، فمن انتهك هذا التابو فجزاؤه الموت الزؤام .

« وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا الى تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين الف وسبعين رجلا »

١ صموئيل ٦ : ١٩

والراجح أن فكرة الصندوق او التابوت هذه مستعارة من قدماء المصريين فقد كانت توابيتهم تحمل بتلك الطريقة ، وهذا بيانها :

« وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان . وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب . وتدخل العصوين فى الحلقات على جانبى التابوت ليحمل التابوت بينهما »

خروج ٢٥ : ١٢ ـ ١٤

وهكذا نجد أن العبريين لم يستعيروا من المصريين حلىالذهب والفضة فحسب بل استعاروا منهم نظام التوابيت كذلك .

---

(١٤٧) كروب اى ملاك (وتجمع فى العبرية على كروبيم) وقد نهت الوصية الموسوية الثانية عن صنع تماثيل كهذه « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض » خروج ٢٠ : ٤

وقد لاحظ بعضهم ان توابيت المصريين كانت تحتوى رمز الحياة ودوامها ، فدار باخلادهم أن العصا والحجرين وهى ما وضعه موسى فى الصندوق ، قد تكون رمز الذكورة ، وما التابوت نفسه الا رمز الأنثوية . ولا غرو أن تكون عبادة عضو الذكورة من الدعائم التى يقوم عليها دين اليهود فان هذا الدين مقتبس من شعبين وثيقى الايمان بهذه العقيدة ، وهما الشعبان البابلى والمصرى .

كان الأقدمون يبدون غاية الاعجاب بأعضاء التناسل ويعربون عن تجلتهم لما تنطوى عليه من قوة خلاقة وما لها من قدرة معجزة على الاخصاب ، وكانوا يربطون بين اخصاب النساء واخصاب الأرض ، ولهذا جعلت بعض القبائل ، تنتخب ملكا وملكة الربيع يباشران الاتصال الجنسى على الملأ ليشيع الخصب فى الأرض فتفشو غلتها وكانوا فى بعض البلاد يحتفلون فى أيام البذر فيلابس أفراد الجنسين بعضهم بعضا ويتناكحون ما طاب لهم فيسفر ذلك عن اخصاب النساء ذوات الأزواج العقماء وكانوا يعتقدون أن فى عملهم هذا ايحاء للارض بأن تخرج فى الربيع عن التحفظ الذى تلتزمه فى الشتاء ، وقد عرفت هذه الاحتفالات فى اليونان وعند الرومان ، كما انها شوهدت خلال العصور الوسطى فى فرنسا وانجلترا ، ولا يزال شىء من هذه الاباحة الجنسية ملحوظا فى حفلات اللهو التنكرية التهريجية (الكرنفالات) ببلاد الغرب وفى الموالد الدينية ببلاد الشرق .

ولما نزح العبرانيون من البرارى المقفرة الى كنعان الان يهوه من طباعه الحوشية (١٤٨) ليلائم موطنه الجديد الذى يفيض لبنا وعسلا ، واقتبس الكثير من خلال « بعل » اله الخصب

---

(١٤٨) الحوش : الابل المتوحشة . الحوشى من الكلام : الغريب الوحشى ، ويقال رجل حوشى : وحشى لا يكاد يخالط الناس

والتناسل فى كنعان ، فكان العبرى لا يجد غضاضة عليه (١٤٩) فى ان يقبض عضوه التناسلى حين يقسم اغلظ الايمان ، وكانما هو يقول : ان حنثت فى هـذه اليمين فلتزايلنى المقدرة على استعمال هذا العضو الحيوى (١٥٠) .

« وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولى على كل ماكان له ضع يدك تحت فخذى فأستحلفك بالرب اله السماء واله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابنى من بنات الكنعانيين الذين انا ساكن بينهم ... فوضع العبد يده تحت فخذ ابراهيم مولاه وحلف له على هذا الأمر »

تكوين ٢٤ : ٢ ـ ٩

وقد استجاب بنو اسرائيل رجالا ونساء لدواعى اللذة الجنسية وسدروا(١٥١) ينطلقون فى ميادينها نشطين خالعى العذار(١٥٢)

« وبنوا هم ايضا لأنفسهم مرتفعات وأنصابا وسوارى على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء . وكـان ايضا مأبونون فى الأرض »

املوك ١٤ : ٢٣ ـ ٢٤

---

(١٤٩) الغضاضة : الذلة والمنقصـة و ـ العيب ، يقال : لا غضاضة عليك فى هذا الفعل .

(١٥٠) وقد بطل هذا النوع من الحلف بعد ان تبين القوم ان الكاذبين فى حلفهم والحانثين فى ايمانهم لم تصب مقدرتهم الجنسية بأى وهن او فتور .

(١٥١) سدر : لم يهتم ولم يبال ما صنع ، ويقال هو سادر فى الغى : تائه

(١٥٢) العذار : ما سال من اللجام على خد الفرس و ـ الحياء ، ومنه يقال للمنهمك فى الغى المتبع هواه « خلع عذاره » اى الحياء كما خلع الفرس العذار فجمح وطمح . وهو خليع العذار اى يقول ويفعل وما يبالى بشىء كالدابة بلا رسن .

كان هذا الاله الثاوى فى الصندوق يتخذ ـ كغيره من الأوثان ـ للعرافة ، وكانت رؤيته ولمسه محرمين على الناس باستثناءالكهنة وحدهم فمن انتهك حرمته من غير هؤلاء فجزؤه الهلك .

وقد تولى هذا الاله قيادة بنى اسرائيل فى مهامه سيناء أربعين عاما فى رحلة كانت خليقة ألا تستغرق ٤٠ يوما . وهم ينسبون الى هذا التابوت ، كما يطلقون عليه ، الفضل فى تمكنهم من عبور نهر الاردن

« فعند اتيان حاملى التابوت الى الاردن وانغماس أرجل الكهنة حاملى التابوت فى ضفة المياه . والأردن ممتلىء الى جميع شطوطه كل أيام الحصاد . وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندا واحدا بعيدا جدا عن « ادام » المدينة التى الى جانب صرتان . والمنحدرة الى بحر العربة بحر الملح (١٥٣) انقطعت تماما وعبر الشعب مقابل اريحا . فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة فى وسط اردن راسخين وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن » (١٥٤) . يشوع ٣ : ١٥ ـ ١٧

وكانوا يعتمدون على هذا التابوت فى دحر الأعداء ، وقد باءوا مرة بالهزيمة فعللوا ذلك بأن التابوت لم يكن فى معيتهم ، اذ ان المقاتلين كانوا قد

« صعدوا الى رأس الجبل و أما تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرحا من وسط المحلة فنزل العمالقة والكنعانيون

---

(١٥٣) يقصد البحر الميت

(١٥٤) وهكذا عبر يشوع بقومه نهر الاردن على النحو الذى عبر به موسى البحر الأحمر ، وقد طالما كرر يشوع معجزات موسى .

الساكنون فى ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم » .
عدد ١٤ : ٤٤ ـ ٤٥

وقد صد اليهود عن التابوت ولووا كشحهم عنه لما الفوه قد استفندت قواه ، وحدث بعد ذلك أن منوا بالهزيمة فى قتالهم للفلسطينين دون أن يكون التابوت معهم فقر رأيهم أن يعيدوا التابوت اليهم وأن يمنحوا يهوه الهرم فرصة اخرى

١٧

مضى اليهود فى عبادة الأوثان

وفى الحق ان اليهود لم يؤمنوا بالوحدانية تمام الايمان ولم يخلصوا لالههم يهوة حاق (١٥٥) الاخلاص بل ظلوا الى عهد غير موغل فى القدم يشوب عقيدتهم الجنوح الى الأخذ بتعدد الآلهة.

لقد كان اله الأسفار الأولى من « العهد القديم » يعيش عاليا فى السماء مع كائنات أخرى أقل شأنا تسمى هى أيضا « الوهيم » (١٥٦) . وفى التوراة آيات شتى تشير الى ايمان اليهود بالآلهة المتعددين ، فمن ذلك :

« وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا » .
تكوين ١ : ٢٦

---

(١٥٥) الحاق الوسط ، يقال : جئته فى حاق الشتاء اى وسطه . اخذنى حاق الجوع اى صادقه . رجل حاق الرجل اى كامل فى الرجولية .

(١٥٦) الوهيم جمع الوه ومعناه الآلهة بصيغة الجمع ، وهى حقيقة حاول المترجمون طمسها فترجموا كلمة « الوهيم » بكلمة « الرب الاله »

« وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » تكوين ٣ : ٢٤

وهم لم يقتصروا على ان آمنوا بالآلهة الأجانب

« من مثلك بين الآلهة يارب »

خروج ١٥ ° ١١

بل لقد عبدوها كذلك ضاربين بالوصية الأولى عرض الحائط، وفى ذلك يقول يهوه .

« لأنهم تركونى وسجدوا لعشتورت الاهة الصيدونيين ولكموش اله المواآبيين وللكوم اله بنى عمون ولم يسلكوا فى طرقى ليعملوا المستقيم فى عينى » ١ ملوك ١١ : ٣٣

وقال داود فى شبابه يشكو موطنيه الى مليكه شاول ويحملهم تبعة لجوئه الى الفلسطينيين أعداء وطنه ودينه .

« انهم قد طردونى اليوم من الانضـــمام الى نصيب الرب قائلين اذهب أعبد الهة أخرى »

١ صموئيل ٢٦ : ٢٩

ومفاد القول أن عبادة يهوه محدودة بتخوم بنى اسرائيل . ولهذا فان المدعو نعمان قائد جيش آرام (سورية) سأل النبى اليشع ، عندما أبراه من البرص ، أن يطرفه بقدر من ثرى بلاد اسرائيل ليعبد فوقه اله اسرائيل ويذبح عليه الأضحيات التى يقربها له .

« فقال نعمان أما يعطى لعبدك حمل بغلين من التراب لأنه لا يقرب عبدك محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب » ٢ ملوك ٥ : ٧١

وقد عبد اليهود كل ما عبده غيرهم من الشعوب البدائية فى عصور الجاهلية ، عبدوا الأوثان وعبدوا العجل الذهب . وقد أشار « العهد القديم » الى عبادتهم للعجول فى غير موضـــع

ومن ذلك أن الملك يربعام الذى خلف سليمان أمر بصنع عجلين من ذهب .

« فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصـــعدوا الى أورشليم . هو ذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر . ووضع واحـــدا فى بيت ايل وجعل الآخر فى دان » .
١ ملوك ١٢ : ٢٨ ـ ٢٩

وذاعت عبادة العجول (١٥٧) فى مملكة يهوذا وعاصـــمتها السامرة .

« زنخ عجلك يا سامرة »
هوشع ٨ : ٥

وكان يهوه يعبد فى بقاع اسرائيلية شتى فى صورة عجل ذهب وكان أنبياء القرن الثامن ق . م ينظرون الى عبادة العجل على انها ضرب من عبادة يهوه وان كانوا يرونه ضربا غير مستحب . وقد احتوى هيكل أورشليم نفسه على رموز لعبادة العجـــل . وبارك يربعام ملك يهوذا هذه العبادة فلم يكن لايليا واليشع قبل بالاعتراض عليها ، ولهذا قصرا حملاتهما على عبادة الآلهة الأجانب مثل بعل الفينيقى وكانت عبادته قد تطرقت الى مملكة اليهود مع الملكة ايزابل عند زفافها الى آخاب .

لقد عبدوا العجول رمز القوة والاخصاب قبل أن يعبروا نهر الاردن الى كنعان ، فلما عبروه عبدوا البعليم وغيره من آلهة الوثنيين . وفى « العهد القديم » أن سليمان زين الهيكل بالصور والتماثيل وانه انكفأ يعبد أصنام الشعوب المجاورة ولم يمسك عن ذلك طوال حياته .

---

(١٥٧) « ... واشربوا فى قلوبهم العجل .. » البقرة ٩٣

« وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السرارى . فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهة كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت الاهـــة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولملك رجس بنى عمون(١٥٨) »
أملوك ١١ : ٣ ــ ٧

وعندما تربع حزقيا بن آحاز على عرش مملكة يهوذا حوالى سنة ٧٢٠ ق . م وجد القوم ما زالوا عاكفين على عبادة الاوثان فتسخطه ذلك .

« وهو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى

---

(١٥٨) المؤابيون والعمونيون الذين عبد سليمان الهيهم وأقام لهما الأنصاب فى بلاده هم أضرى أعداء بنى اسرائيل ، وقد ظلت الحرب بينهم وبين اليهود سجالا ، ولهذا عمل كاتبو سفر التكوين على اسقاط مروءتهم والغض من شأنهم فرموهم بأنهم أولاد زنية وقالوا فى تفصيل ذلك أن لوطا كان قد أسرف فى معاقرة الصهباء وزين له السكر فانتزى على ابنتيه وافترعهما فتمخض ذلك عن قبيلتى مؤاب وبنى عمون .
« فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين الى اليـــوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنـــا ودعت اسمه بن عمى . وهو أبو بنى عمون الى اليوم »
تكوين ١٩ : ٣٦ ــ ٣٨

وسحق حية النحاس التى عملها موسى (١٥٩) لأن بنى اسرائيل كانوا الى تلك الأيام يوقدون لها »

٢ ملوك ١٨ : ٤

ورفعوا الترافيم (١٦٠) الى منزلة الآلهة وهى أصنام تحمل وتنقل ، فعندما طعن يعقوب بأغنامه المخططة والرقطاء من عند

---

(١٥٩) فقد صادف الاسرائيليون الحفاة التائهون فى بادية سينا ذات يوم لفيفا من الصلال اتخنت فيهم لدغا ، وفسر لهم موسى هذا الرزء بأن يهوه ينكل بهم لتمردهم على زعامته هو

«وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا اصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت انفسنا الطعام السخيف . فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل . فاتى الشعب الى موسى وقالوا قد أخطأنا ... فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انسانا ونظر الى حية النحاس يحيا » عدد ٢١ : ٥ ــ ٩

هذا ، وقد كانت الشعوب القديمة تتخذ الحية رمزا للعمل الجنسى ولهذا كانوا يقدرونها قدرا عظيما ويعبدونها

(١٦٠) teraphim أى الآلهة المنزلية ويغلب أن تكون على هيئة الانسان فى مثل جرمه ، وربما كان المقصود بها تمثيل أرواح الاجداد ، وهى تضفى الحماية على الأسرة وتعد بين الأوثان .

« لأن التمرد كخطية العرافة . والعناد كالوثن والترافيم » . ١ صموئيل ١٥ : ٢٣

ومع ذلك فالراجح أن اليهود لم يكونوا يجدون فى عبادتها خيانة عظيمة ليهوه كما كانوا يجدون فى عبادة الآلهة الأجانب

حميه لابان الأرامى (أى الشامى) ميمما شطر أبيه اسحق فى كنعان عمدت راحيل ابنة لابان ، احدى الشقيقتين اللتين بنى بهما يعقوب فى أسبوع واحد ، الى سرقة أصنام أبيها .

« وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه .فسرقت راحيل أصنام أبيها . وخدع يعقوب قلب لابان الآرامى اذ لم يخبره انه هارب » تكوين ٣١ : ١٩ ــ ٢٠

وكان داود أيضا يقتنى الترافيم . فلما بحث عنه الجند ذات يوم لينفذوا فيه أمر الملك شاول بقتله هربته امرأته ميكال بنت شاول .

« فانزلت ميكال داود من الكوة . فذهب هاربا فاخذت ميكال الترافيم ووضعته فى الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب » .

١ صموئيل ١٩ : ١٢ ــ ١٣

وبعد ذلك بزهاء ثلاثة قرون أى فى القرن الثامن ق.م كان النبى هوشع يعد الترافيم شيئا لا غناء عنه فى العبادة ، فهو يتحدث الى العاهرة التى اشتراها بخمسة عشر شاقلا من الفضة منبئا اياها أن البلاد أوغلت فى الاثم ولجت فى المعصية فكتب عليها يهوه أن تمر بها أوقات عصيبة يبلغ من هول المحنة فيها أن تزول منها الترافيم .

« وقلت لها تقعدين أياما كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل. وانا كذلك لك . لأن بنى اسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم »

وعبدوا الانسان

١٢ ــ وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب

فشدد الرب عجلون ملك موآب على اسرائيل لأنهم عملوا الشر فى عينى الرب

١٤ ـ فعند بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثمانى عشرة سنة »

١٥ ـ فعند بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثمانى اسرائيل وامتلكوا مدينة النخل » .

قضاة ٣ : ١٢ ـ ١٤

١٨
فى سبيل التوحيد

كان العبريون منذ زمن سحيق يعبدون يهوه مجسما فى صورة أسطوانة من الحجر ، أوهم ـ بتعبير آخر ـ كانوا قد نحلوا معبودهم الحجرى هذا صفة الألوهية وأطلقوا عليه اسم يهوه ، فكيف أصبح هذا العمود القومى المقدس الها قادرا على كل شىء ، وكيف صارت بهم الحال الى الوحدانية ؟

الا انما يرجع الفضل فى ذلك الى أمرين :

١ ـ الوضع الاجتماعى والسياسى لأسباط بنى اسرائيل خلال المدة التى تبدأ بالقرن التاسع ق.م وتنتهى بالقرن الخامس ق.م

٢ ـ نزعة خاصة فى عقول الساميين الى التوحيد ، ومن بدوات (١٦١ ارنست رنان اللامعة قوله أن العقل السامى مفطور على التوحيد . لقد مر الساميون بطور عبادة الآلهة المتعددين ثم جرت منهم محاولة للتوفيق بين شتيت الآلهة فأسبغوا على كل منهم ماللآخرين من خصائص وصفات ، فنصلت الألوان المميزة لكل منهم والفارقة بين بعضهم وبعض حتى التبس الأمر فى

---

(١٦١) البداة : الرأى يسنح ، ويقال فلان ذو بدوات : اذا كانت تظهر له آراء فيختار أحزمها .

شأنهم وقد حدث شيء من ذلك فى بلدان غير سامية مثل مصر واليونان ولكن الأمر لم يبلغ فيها شأوا بعيدا .

١ ـ فقد كان اله العبرانيين مخبوءا فى ظلمة تابوت أومتواريا فى غبش داخل خيمة وكان العبرانيون يجفلون عنـــد رؤيته ويتحرجون من النطق باسمه فبقيت آلهتهم دون أشكال واضحة أو ملامح محددة .

٢ ـ وبخلاف مصر ذات الجو الجـــاف الذى بدرأ العطب والفساد عن المومياوات والأصنام والمقابر والمعابد ، كانت البلاد التى استوطنها العبريون تتعاورها أطوار جوية عنيفة من أمطار تنهمر ورياح تتناوح (١٦٢) وتبعا لذلك تتأثر المومياوات والآثار المقدسة فيسرع اليها التفتت والبلى ، وهكذا تقوضت هـذه الأشياء فاندرست عبادة الأسلاف واغتصب الآلهة ذوو الخطـر مكان الرجل التاريخى وسمى الآلهة القدامى بأسماء جديدة متطفلة عليهم فأصبح ملكرت بعل مدينة صور يعبد فى زمن متأخر على وهم انه الاله الاغريقى هرقل . وكان ببلوس صنمان يعبدان على انهما الالهان السوريان ادونيس وعشترت ثم دار الزمن فأصبحا يعبدان باعتبارهما الالهين المصريين أوزيريس وايزيس (١٦٣)

---

(١٦٢) تناوح الشيئان : تقابلا . تناوحت الرياح : اشتد هبوبها وهبت صبا مرة ودبورا مرة وشمالا مرة وجنوبا مرة

(١٦٣) وقد بذلت فى طور متأخر من أطوار العبادة محاولات للزج بالاجرام السماوية وقوى الطبيعة العاتيـــة فى صلب المعتقدات الأسطورية أو الدينية فأصبح كل ملك منحدرا من سلالة الشمس وكل اله عظيم هو الشمس بعينها .

وتلت ذلك مساع للتوفيق بين يهوه والشمس ، وقد كـان الحجر المقدس الذى هو يهوه ، فى اسرائيل ـ كما كانت المسلة فى مصر ـ يرمز الى معنى جنسى ويمثل كذلك اشعة الشمس . وبعد ان كان يسكن فى التابوت ويرحل معه اينما رحل وتقله عجلة =

وقد كان هذا الازدياد فى الشبه بين مختلف الآلهة ورغبة القوم فى التوفيق بينهم مما عبد الطريق فى سبيل المناداة بالوحدانية فيما بعد ، وساعد على ذلك أن التصورات الدينية عند الساميين كانت مشوبة بشىء من الابهام مرده الى :

١ ـ خلو حضارة الساميين من الفنون ، فقلما دار بخلد أحد منهم أن ينقش صورة لآلهة .

٢ ـ الخصائص المتأصلة فيهم والتى نرى الآن نموذجا لها فى العرب ومماركب فى طبائعهم من كآبة وكبرياء وحذر واسترسال فى التخيل واستغراق فى التأمل .

هذا ومن الخير أن نلاحظ :

١ ـ أن يهوة كان منظورا اليه دوما على أنه اله بنى اسرائيل القومى .

= تجرها الثيران ، جعل المتأخرون ، وربما كان ذلك فى القرن الثامن ق.م ، مسكنه فى السماء ، وهى فكرة أكادية الأصل ، وجعلوا ينسبون اليه ظواهر تتعلق بالنور والنار ، فهو يظهر فى مدين لموسى فى نبتة مشتعلة ويسعى أمام بنى اسرائيل فى البرية على هيئة مارج من النار

« وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضىء لهم ..
خروج ١٣ : ٢١

ومن ذلك نرى أن عباد يهوه اقتبسوا غير قليل من عبادات آلهة بعض العناصر الفلكية التى كانوا قبل يعدونها معادية ليهوه كالاستراحة فى يوم السبت وهو يوم البؤس عند الاله الخبيث كيوان أو زحل ، وقد كان عابدوه يرغبون عن قضاء اية حاجة لهم فى ذلك اليوم . وكان اليهود يعدون تقسيم الشهر القمرى (وهو المدة المقدسة لعشترت ملكة السماء) الى ٤ أسابيع عملا وثنيا ، ثم تبنوا يوم السبت وفسروه بأن الله استراح فيه بعدما خلق الدنيا فى ٦ أيام .

٢ ـ وانه كان الههم الأعظـــم على غرار زيوس فى اليونان وجوبتر فى روما .

٣ ـ وقد أعلى مكانه فى أعينهم وجعله يزعم على ســـائر الآلهة المحليين ، بوصفه الاله القومى ، أن بنى اسرائيل كانوا يقيمون فى فلسطين على قلق ، وكانوا جاليات متناثرة يحدق بها الأعداء ، وكانت الحرب سجالا بين الفريقين .

٤ ـ وكانت عبادة يهوه هى الرباط القومى الذى يوثق بين الأسباط المتناثرة المتنافرة ، فهم يحملونه معهم فى المعـــارك ليقاتل الى جانبهم ، وهذا التضامن بين الاله والقبيلة هو ظاهرة واضحة من ظواهر العبادة عند الساميين .

وقد ازداد بنو اسرائيل ادراكا لذلك بعد ما التأم شملهم على عهد داود وغدوا شعبا واحدا اتخذ من اورشليم عاصمة له

٥ ـ ويرجع الفضل فى صيرورة يهوه الها للجنس الاسرائيلى برمته (١٦٤) الى ما قام به داود من احضاره يهوه الى أورشليم وما نهض به سليمان من بناء هيكل له ، حتى اذا ما انقسمت المملكة اثر موت سليمان أصبح يهـوه هو الاله الأعظم للمملكة الجنوبية ((يهوذا)) على الأقل

٦ ـ وقد انتفع يهـوه بما هو مذكور من أمره فى مبتـدأ الوصايا العشر من أنه ((اله غيور)) أى أنه لا يطيق أن يشركه فى هيكله اله آخر ، فان ذلك جعل ((داجون)) اله الفلسطينيين يخر على وجهه بين يديه ولا يقوى على البقاء فى حضرته .

((واذا بداجون ساقط على وجهه الى الأرض امام تابوت الرب ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة . بقى بدن السمكة فقط)) .. اصموئيل ٥ : ٤

---

(١٦٤) الرمة : الحبل يشد فى عنق البعير . أعطاه برمته اى بجملته وأصله أن رجلا دفع الى آخر بعيرا بحبل فى عنقه فصار يقال لكل من دفع شيئا بجملته : أعطاه برمته .

وهكذا فرض سدنة يهوه على الذين يتعبدون له أن ينصرفوا انصرافا تاما عن الآلهة الآخرين وجعلوا ينظرون الى أولئك الآلهة على أنهم أوثان ، فغدا يهوه هو الاله الحى الواحد ، على الأقل فى أرض اسرائيل .

٧ ـ وكان رجال الكهنوت قد حظروا صنع تماثيل ليهوه اكتفاء بالحجر المقدس الذى أودعوه التابوت ، فكان القوم يولون وجوههم شطر ((شيلوه)) ثم شطر ((أورشليم)) متخذين منها قبلة تدعم الوحدة القومية .

٧ ـ وكان رجال الكهنوت قد حظروا صنع تماثيل ليهوه الدبلوماسى ما يحفظ عليهما استقلالهما المزعزع وسط أمبراطوريات قوية فى مصر والعراق ، بيد أن المملكة الشمالية ما عتمت أن تلقت فى القرن الثامن ق .م ضربة قاصمة اذ أغار عليها الأشوريون واجتاحوا عاصمتها السامرة فى سنة ٧٢٢ ق .م فطفى التحمس على عباد يهوه فى ذلك العصر الذى نستطيع أن نسميه عصر النبوات والذى أبرز لنا تلك الشذرات الأدبية العبرية فى المقاومة السلبية ومكافحة الغزاة بغير سلاح ومناصرة يهوه للعبريين فى قتال أعدائهم قتالا فت فى أعضادهم فلم تغن عنهم أفراسهم ومركباتهم الحربية ، فاذا قصر الاسرائيليون عليه عبادتهم ونبذوا سائر الآلهة فسيعصف بأشور ويجعلها موطئا لاقدامهم . تلك هى اللغة التى كان يتحدث بها أشعيا ومن اليه .

ومن عجب أن الحزب اليهوى ديثار تلك الفترة التى كان الكيان القومى كله معرضا فيها للزوال كى يقوم بالاصلاح الدينى الشامل .

كان الكهنة فى ذلك الوقت هم وحدهم على شىء من العلم وكانوا يكتبون الأسفار الدينية ويلقنون الناس أنها موحى

بها ويتخذون من ذلك برهان صحتها ، لا انها صحيحة ومن ثم تكون موحى بهـا .

وتوفر حلقيا رئيس الكهنة فى اورشليم على وضع سفر جلا فيه الشريعة مدونة على نمط جديد منقحة حسبما كانت تقتضى الأحوال والملابسات المستجدة اذ ذاك ، ثم شخص الى يوشيا ملك يهوذا (حوالى سنة ٦٢١ ق . م) وزعم له انه سقط له من اوابد(١٦٥) الهيكل سفر كان بديدا(١١٦) بين سجلات الهيـكل يتضمن معلومات تاريخية واحكاما خلقية وتشريعية ادلى بهـا موسى فيما غبر وهى لا تدع وجها من اوجه الخلاف فيما يعرض من المسائل الاحسمته . وافلح الكهنة فى ضم الملك يوشيا الى جانبهم ، فما ونى ان دعا كبار القوم الى الهيكل حيث امر فتلى عليهم سفر الشريعة وفرض عليهم بسلطانه الاصـــلاح الدينى المنشود .

« وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب ان يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل اجناد السماء واحرقها خارج اورشليم فى حقول قدرون وحمل رمادها الى بيت ايل ... وهدم بيوت المأبونين التى عند بيت الرب ... وذبح جميع كهنة المرتفعات التى هناك على المذابح واحرق عظام الناس عليها ثم رجـع الى ورشـليم ... وكذلك الســحرة والعرافون والترافيم والأصـنام وجميـــع الرجاسات التى رئيت فى ارض يهوذا وفى وارشـليم ابادها يوشيا ليقيم كلام الشريعة المكتوب فى السفر الذى وجده حلقيا الكاهن فى بيت الرب ».

٢ ملوك ٢٣ : ٤ ــ ٢٤

---

(١٦٥) الآبدة : الأمر العجيب يستغرب له .

(١٦٦) ذهبوا اباديد اى متبددين . طير اباديد : متفرقة .

ولم يقيض ليوشيا أن يعمر بعد ذلك طويلا ليسهر بنفسه على ذلك الاصلاح الديني الكبير ، فقد زحف ((نخاو)) ملك مصر على آشور مخترقا مملكة يهوذا وانبرى يوشيا لصد هذا الزحف في مجدو ففتك نخاو به وبجيشه في مجدو .

وانصرمت بعد ذلك سنون واذا بختنصر وقد انقض على نخاو وظهر عليه في قرقميش واستولى على يهوذا ودخل حاضرتها اورشليم سنة ٥٨٦ ق . م وأباحها لجيشه ثم أخربها وقوض مرابعها وعاد منها الى بلاده بألوف الأسرى والسبايا ، وبذلك أصبحت مملكة يهوذا ولاية تابعة لبابل وكفت دهرا عن أن يكون لهـا وجود مستقل .

وقد اغفل المؤرخون ما صار اليه العمود الحجر الذى هو يهوه، وما يدرينا لعل الغزاة فعلوا به ما فعله يوشيا بالسارية التى ((أحرقها ... ودقها الى أن صارت غبارا)) .
٢ ملوك ٢٣ : ٦

ومهما يكن من أمر فقد انقطع ذكر يهوه ـ بوصفه شيئا ماديا ـ منذ تلك الحقبة فلم نعد نسمع نبأ يتعلق به وبالتابوت الذى كان يثوى فيه .

ومن عجب أن اختفاءه التام هذا من صحيفة التاريخ بوصفه الها محسوسا ملموسا لم يكن سببا لا ضمحلال عبادته وخمودها في بلاد اليهود،بل كان مؤذنا بتحولها الى عبادة روحية توحيدية منتشرة في مختلف أرجاء العالم ، ذلك أن هذا الاختفاء حدث بعد أن اوشك دين يهوه على استيفاء تطوره ، فان الأنبياء ومن اا كانوا ـ حتى قبل السبى البابلى ـ قد شرعوا فى تحسين فكرتهم فى يهوه وقدسيته وسموه على البشر وقدرته على كل شىء ، فلمـا كان السبى اتسـع هـذا الفهـم الروحانى وجعـل العبريون ندرا فى منفاهم يتصورون يهوه حاكما رفيع الذرى

يسكن السماء غير مقيد بقيود المادة ولا تراه العيون ولا تقام له التماثيل أو يرمز اليه بشيء .

وبدأت الوحدانية تغزو قلوب العبريين اول مرة فى بابل ، وما هى الا أن أصبحت عقيدة لهم ، فقد وقع فى وهمهم أن كل ما حل بهم من الفوائل انما يرجع الى هجرهم يهوه ومخالفتهم عن اوامره ، ومن ثم جعلوا يزدادون التصاقا بهذا الاله الذى يمثل وجودهم ووحدتهم القومية .

وحدث فى سنة ٥٣٨ ق . م أن قورش الكبير عاهل فارس غزا بابل من بها من اليهود الذين أجتلبهم اليها بختنصر منذ نصف قرن ورد لهم آنية الذهب والفضة التى كان بختنصر قد غنمها من هيكل سليمان ، ويسر العاهل الفارسى لهم اقامة معبد لربهم فى أورشليم عوضا عن هيكل سليمان الذى كان البابليون قد أتوا عليه .

« هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها لى الرب اله السماء وهو أوصانى أن ابنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا » عزرا ١ : ٢

وعاد الأسرى والسبايا من بابل الى يهوذا وهم على ثقة بأن صلاحهم وفلاحهم متوقفان على تجديد دينهم ، ولم يكن بين أولئك الذين آبوا أخيرا الى أورشليم غير نفر قليل ، ان كان قد آب منهم أحد على الاطلاق ، ممن سبق لهم أن عرفوا هذا الاله الحجر الذى كان ثاويا فى التابوت . لقد تبوأ يهوه مكانه فى السماء بين النجوم الزهر ، أما الهيكل الذى بناه القوم له بعد عودتهم من السبى فانه لم يقم فيه بشخصه ولم يصر « بيت الله » بالمعنى الحرفى للكلمة كما كان سلفه هيكل سليمان الذى قوضه بختنصر .

وطوى الموت قورش فخلفه على عرش فارس عاهل اثر عاهل، نذكر

منهم ارتحشستا وفى عهده رجع عزرا بن بن بن .. بن هرون الكاهن شقيق موسى ـ من بابل الى أورشليم وناط به الملك اصلاح الشريعة اليهودية وخوله فى ذلك سلطانا كبيرا ، فسار عزرا على نهج جده حلقيا وقام بالحركة الاصلاحية الثانية مبتدعا شريعة جديدة نسبها الى موسى .

« اجتمع كل الشعب كرجل واحد الى الساحة التى أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى التى أمر بها الرب اسرائيـــل فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع ... وأجاب جميع الشعب آمين آمين رافعين أيديهم وخروا وسجدوا للرب على وجوههم الى الأرض . واللاويون أفهموا الشعب الشريعة والشعب فى اماكنهم وقرأوا فى السفر فى شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة » . نحميا ٨ : ١ ـ ٨

وظفر يهوه بالنصر بفضل فقدانه لخصائصه المميزة واقتصاره على الاتصاف بالصفات العامة للالوهية ، وهو ما اكسب الوحدانية قوة عظيمة وسنى لها أن تشق طريقها فى كل مكان ، فالوحدانية هى الدين مختزلا الى عنصره المركزى البسيط .

وقد تركت الأفكار الجديدة أثرا عميقا فى مناحى العقيـــدة اليهودية ، فاقبل أولو الأمر يدونون الأخبار التاريخية جميعها فى صورة يهوية . وبذلك لبست التوراة والأسفار التاريخيـة الثوب الذى ترتديه الآن وتغير مفهوم القوم عن يهوه فبعد أن كانوا ، حتى القرن السادس ق . م ، يعدونه الاله القومى لاسرائيل جعلوا الآن ينظرون اليه على انه اله العالم كله على النحو الذى يعرفه الاسلام عن الله والذى تعرفه المسيحية عن الآب فى الوقت الحاضر . بيد أن ذلك لم يحل دون بقائه على ارتباط وثيق باليهود ، وكان هؤلاء يرجون أن تعرف الأمم مجده وعظمته من

طريقهم ، وظل الأمر كذلك خمسة قرون فى انتظار المناداة به خارج اسرائيل وعقد الاتحاد بينه وبين شتى القوميات ، وكان الفضل فى ذلك لبولس الطرسوسى .

١٩

نشأة الوحدانية فى مصر

وايا ما كان الأمر فقد سبق المصريون اليهود فى القول بوحدانية الله ، فقد كان أمنحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة عند استوائه على العرش يؤمن بأن الها واحدا هو الاله الحق وما عداه باطل وزور . وكانت الصورة المرئية لهذا الاله هى الشمس ((أتون)) فهى أم الكائنات جميعا ، وما وجدت الخليقة كلها الا بكلمة من فيها، وماصدف الناس عن عبادتها الاضلالة وعماية(١٦٧) وقد حزم الملك أمره ، وعاونته زوجته الحسناء نفرتيتى ، على أن يبث الدعوة لهذه العبادة وان يصطنع الشدة والحزم فى نشرها . وأوجب على اتباع ((اتون ـ رع)) أن يستمسكوا بعبادة الشمس وأن يجحدوا سائر العبادات ، وغير هو اسمه تمجيدا للشمس فجعله ((اخناتون)) أى عظمة الشمس وبهاءها .

ولم تتوافر لهذا المصلح العظيم ، خلال الاحدى عشرة سنة التى ولى فيها الملك ، مواءمة العوامل السياسية والاقتصادية ومؤازرة القوة الثقافية فى البيئة فقد تصدت السلطة الدينية القومية فى مدينة ((طيبه)) لهذه الديانة الجديدة التى تتهدد عبادتهم للاله ((أمون)) بالاضمحلال والزوال ، ولم تزل تكافحها

---

(١٦٧) العماءة والعماية : الغواية واللجاج .

حتى قضت عليها(١٦٨) .

*

وفى التوراة نفسها دليل على قدم التوحيد فى مصر ، فقد قرب فرعون اليه العبد العبرانى يوسف وأبدى اعجابه به .

« فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله » . تكوين ٤١ : ٣٨

وهو كلام بين الدلالة على ان فرعون وحاشيته كانوا يعرفون الله ويكرمون القانتين(١٦٩) له وذلك فى زمن يوسف وهو ـ تأسيسا على ما جاء فى التوراة ـ يسبق زمن موسى بنحو ٢١٥ سنة(١٧٠) .

---

(١٦٨) وانما نجح الاصلاح الدينى فى مملكة يهوذا بعد ذلك بأكثر من ثمانية قرون لأن البداءة فيه جاءت من قبل الكهنة أنفسهم ، اذ كان الاصلاح يتمشى مع مصالحهم الاقتصادية . ومع ذلك فان تلك الحركة التى قامت للاصلاح الدينى على سفر التثنية التى زعم حلقيا انه اكتشفه تمخضت عن اهراق سيول من الدماء .

(١٦٩) قنت : أطاع وذل ، يقال قنت لله وقنتت المرأة لزوجها .

(١٧٠) جاء فى قصة ابرهيم أن الله ظهر له

« وتكلم الله هكذا . أن يكون نسله متغربا فى ارض غريبة فيستبعدوه ويسيئوا اليه أربع مئة سنة » .

اعمال ٧ : ٦

بيد أن يعقوب وبنيه لم يدخلوا مصر الا بعد ان انقضى على هذا الحديث قرنان .

ولم تكن الوحدانية هى كل ما نقله أحبار اليهود عن عقائد المصريين ، فقد كان كهنة المصريين يلقنون الناس أصول ديانتهم قبل أن تطالعهم التوراة بقولها .

« فى البدء خلق الله السموات والأرض . وكانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر(١٧١) ظلمة وروح الله يرف(١٧٢) على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان نور » . تكوين ١ : ١ ــ ٣

وكان مما يلقنونهم اياه :

١ ــ أن ثم الها خلق المادة الأولى ، وكان الكون قبل ذلك خواء(١٧٣) .

٢ ــ ثم صاغها فى صورة ما .

٣ ــ أن نفس أحد الالهة هب فوق وجه الغمر .

٤ ــ أن الله برأ الخلق فى سهولة ويسر بقوله : كن .

٥ ــ أن النور خلق قبل الشمس(١٧٤) .

وكذلك عن مصر نقل وضعه التوراة الأجزاء الأساسية فى قصصها ، وعدلوا ما نقلوه حتى أصبح يلائم الأساطير الشائعة

---

(١٧١) الغمر فى اللغة : الماء الكثير و ــ معظم البحر . يقابل هذه الكلمة فى الانجليزية كلمة the deep ومعناها الأعماق أو البحر .

(١٧٢) يقابلها فى الانجليزية كلمة moved ومعناها تحركت.

(١٧٣) الخواء : الهواء أى الفضاء بين الشيئين ، يقال بينهما خواء ، وهى فى الانجليزية chaos

(١٧٤) وفى سفر التكوين أن الله خلق النور فى اليوم الأول من الأيام الستة وخلق الشمس فى اليوم الرابع .

بين قومهم . وهم لا يمتازون من غيرهم من واضعى الكتب المقدسة الأخرى فى مختلف أرجاء المعمورة الا بأنهم لم يمتد حديثهم فيتناول الحياة المستقبلة وبأنهم لم يعدوا بالجنة ويتوعدوا بجهنم فقد كان يهوه يقتصر فى السيطرة على عباده بما يجزيهم به فى هذا العالم من مثوبة طيبة وما ينزله بهم فيه من عقوبة رادعة . اما حكاية النعيم والجحيم فهى اضافات حديثة العهد نسبيا .

قصـــــــة الخلق

كانت أرجاء المعمورة فى الأزمنة الغابرة تنجاوب فيها أساطير شتى تنطوى على أجوبة غير صائبة عما يخوض فيه الناس من اسئلة واستفسارات يتصل بمبدأ الخليقة ومنشأ الجنس البشرى وبوفود الموت على هذا العالم وما الى ذلك من معميات الوجود .ولم تكن تلك الأساطير التى يتناقلها البدائيون عامرة بالتصورات الشعرية والتاملات الفلسفية كأساطير من تلاهم من الشعوب التى نهلت من حضارة بل كانت تدور حول محور واحد هو سن المناسك الدينية . وقد اكتسبت تلك الأساطير ما لها من جلالة الشأن بما أحدثت فى حياة الأجيال اللاحقة من آثار عميقة لم تندرس حتى الآن .

وعاد العبريون الى اورشليم من موطن سخرتهم فى بابل وقد احتقبوا قصة تتعلق بخلق الدنيا ما لبثوا أن احدثوا فيها من التعديلات ما يجعلها تلائم فكرتهم فى الوحدانية وتؤيد منسك العطلة فى اليوم السابع من أيام الأسبوع .

«لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » . خروج ٢٠ : ١١

---

(١) وقد احتج اليهـود لتقديس السبت فى مكان آخر من التوراة بسبب آخر ، اذ تقول .

« واذكر انك كنت عبدا فى أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة . لأجل ذلك أوصاك الرب الهك أن تحفظ يوم السبت » .

تثنية ٥ : ١٥

على أن نظام العطلات الدورية كان معروفا للكثير من الشعوب القديمة فكانوا فى روما يعفون من العمل فى اليوم السابع من كل أسبوع ، وكانوا فى مصر على معرفة تامة بالأسبوع ، وكانوا =

وقد وضعت هذه القصة لتعليل انتفاء الخلود عن الناس ، فقد كان الناس أبدا الدهر تواقين الى ان يقهروا الموت ويظلوا احياء .

وكان البدائيون يرون الحيات والاورال والحشرات (فى بعض اطوارها) تنسلخ من جلودها فيعتقدون أنها بذلك تستديم الحياة ، وكان يخيل اليهم ان الطيور تنسل عنها ريشها فتجدد بذلك شبابها

« فيتجدد مثل النسر شبابك » مزمور ١٠٣ : ٥

وما زال الأهلون فى بعض الجهات (غينيا الجديدة والهند الصينية وجزائر اميرال وسلبيز الخ) يعتقدون أن الناس كانوا ذات يوم يستديمون حياتهم بتغيير جلودهم أو بدفن موتاهم فى ظل شجرة معينة تعيد اليهم الحياة بعد فترة من الزمن .

وفى قصة خطيئة آدم ما يوحى بأن الانسان خلق بادىء الرأى ليكون من المخلدين لولا ذلك الحادث الذى دفع منه فأفقده هذه المزية وألقى به فريسة أبدية للمرض والموت .

تقول القصة ان فى الجنة شجرتين تمتازان من سائر أشجارها بما لهما من خصائص هامة ، هما

«شجرة الحيوة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر » . تكوين ٢ : ٩

وقد خول الله الانسان ، بل هو أوصاه ، ان يجتنى ما طاب له من ثمار أشجار الجنة ما خلا شجرة واحدة هى شجرة معرفة الخير والشر .

« واوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنة

= يطلقون على الأيام السبعة أسماء الأجرام السماوية السبعةالتى كانت معروفة لهم فى ذلك الزمان .

وقد زين الغرور والزهو القومى لليهود أن فى تقديسهم يوم السبت استعلاء بأنفسهم عن مستوى الشعوب المتاخمة لهم .

تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » . تكوين ٢ : ١٦ ـ ١٧

واذن لم تكن ثمار شجرة الحياة حراما على آدم ، وقد كان حريا أن يأكل منها لولا أن الحية صرفت انتباهه عنها الى الثمرة المحرمة فكتبت بذلك الموت عليه وعلى بنيه أبد الآبدين .

ورثنا هذه الأسطورة عن اليهود ثم سارت الكنيسة بها شوطا الى الأمام ، اذ فسر القديس بولس النكبة التى كان مسرحها جنة عدن على نحو يتفق ومذهب الفداء ويبسر عودة الانسان الى الفردوس المفقود .

وتشبه قصة العبرانيين فى خلق الكون ما دونه البابليون من ذلك فى سجلاتهم الطينية وما سجله المصريون على آثارهم الضخمة والهنود فى معابدهم المعتمة . والصورة اليهودية لهذه القصة ، وان تكن أحدث عهدا تقل عن نظائرها من الصور الغوابر بهاء وسموا وليست لها حظها من البساطة واليسر وذلك ما نراه فى جلاء عندما نوازن بين قصة التوراة والقصة الهندية التى هى أقدم منها بأربعين قرنا ، وهى تقول :

خلق الكائن الأعلى آدم وثنى بحواء واسكنهما جزيرة سيلان الفاتنة ليستمتعا فى مخارفها(٢) باويقات لذيذة يزجيانها(٣) فى الحب والغزل ، فقد اقتضت مشيئته ان يكون الزواج أبدا مسبوقا بالحب . ولما أظلهما الحب ربط الكائن الأعلى بينهما برباط الزواج وأوصاهما الا يبرحا تلك الجزيرة ، وكانت ذات رونق وبهاء تكسو

---

(٢) المخرفة : البستان و ـ السكة بين صفين من نخيل .

(٣) زجى الشيء : دفعه برفق يقال « كيف تزجى الأيام » اى كيف تدفعها .

اديمها أعشاب نضرة تزفرها (٤) الرياح التناوحة (٥) فتعزف انغاما تبـذ أنغام القيثـارة رقة وعذوبة تمتزج بتغريد البـلابل الصادحة والطيور الشادية على الأفنان المتمايدة(٦) .

وتاق آدم أن يلقى نظرة على ما حوله فدلف الى طرف الجزيرة الشمالى وكان ثم معبر ضيق يصـل الجزيرة بالقـارة . ومد الشيطان فى ناحية القارة سرابا رقراقا(٧) صور لباصرتى آدم منظرا أخاذا رأى فيه قلل الجبال وقد جللتها الثلوج النواصع وتدفقت منها السيول لتتكسر على الجنادل فيجيش منها الزبد ، ورأى تحت سفوحها الأودية الخضراء قد انبسطت رقاعها وانسابت فيها الجداول الصافية وقد انضرت على ضفافها الأشجار وأينعت الثمار . وراقه ما شهد فآب الى حليلته يزين لها أن تصحبه الى القارة ، ولم يزل بها حتى تبعته على هواه ، بيد أنهما ما ان اجتازا ذلك العنق الضيق من الأرض حتى انهار فى اليم فانقطع دونهما خط الرجوع وانقشع السراب فاذا هما لا يجدان بين أيديهما غير فياف قفراء وصخور صماء لا بهجة فيها ولا رواء

هذا ، ومن الملاحظ فيما يتصل بالزمن الذى أدمجت فيه هذه القصة فى سفر التكوين أنه لم ترد اشارة اليها فى أى سفر آخر من أسفار اليهود المقدسة الا كلمة عارضة فى الوصية الموسوية الرابعة الخاصة بتحريم العمل أيـام السبت وقد ذكرناها قبل

---

(٤) زفزفت الريح الحشيش : حركته وصوتت فيه .

(٥) تناوحت الرياح : هبت شمالا مرة وجنوبا مرة وصـبا مرة ..

(٦)تمايد : تمايل مهتزا ..

(٧) الرقراق : كل شىء له تلألؤ وبصيص ، يقال « سراب رقراق » أى ذو بصيص .

وهى وصية لا يتاتى أن يكون اليهود قد أوصوا بها ابان بداوتهم حين كانوا يلبثون بياض النهار قاعدين عن كثب من أغنامهم ، بل يغلب أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استقروا فترة طويلة فى مدن وأبنية وراء أسوار ومهما يكن من أمر فمن الثابت أن هذه القصة لم تقرع مسامع اليهود الا بعد السبى البابلى(٨) فقد كان علم بدء الخليقة(٩) قائما عند البابليين قبل أن يكتب سفر التكوين بأزمان مديدة ، بل قبل العصر الذى يفرض أن موسى عاش فيه . وقد اشتمل هذا العلم على جميع الدعائم الأساسيةالتى تقوم عليها قصة الخلق العبرانية وعلى رأسها خلق العالم فى ستة أيام واغراء حواء وغواية آدم وهم يسمونه((أدمى)) وهى الصيغة الأشورية لاسم آدم ويسميه العبرانيون ((أدمة)) وهو اسم مشتق من فعل معناه ((يحمر)) (١٠) وقد يكون مرد ذلك الى ثرى فلسطين الأحمر .

---

(٨) فان نبوخذ نصر (بختنصر) ملك الكلدان (بابل الحديثة) غزا مملكة يهوذا فى سنة ٥٨٦ ق . م واخرب حاضرتها أورشليم (ومعنى الاسم فى العبرية مدينة السلام وان كانت المدينة تحمل هذا الاسم من زمن أقدم من اللغة العبرية) لأنها ، كما يقال بنيت فى عهد الكاهن ملكى صادق الملقب بملك السلام وهو معاصر لأبراهيم « وملكى صادق ملك شاليم » .. تكوين ١٤ : ١٨

وسبر الألوف من أهلها ونقلهم الى بلاده فلم يزالوا يسترقون فيها حتى أطلقهم كيروش الثانى ملك فارس عندما غزا بابل سنة ٥٣٨ ق . م .

(٩) Cosmogony

(١٠) وقد دعى عيسو بن اسحق أدوم لأنه مر يوما بأخيه التوأم يعقوب فوجده قد أعد طبيخا من العدس .

« فقال عيسو ليعقوب اطعمنى من هذا الأحمر .. لذلك دعى اسمه أدوم » تكوين ٢٥ : ٣٠

واذا رجعنا الى اللغة الأكدية (وهى التى سبقت البابلية والتى كتب بها الأشوريون والعبريون فى بادىء الأمر جانبا من كتاباتهم فى علم بدء الخليقة) ألفينا أن لفظ ((أد)) معناه أب وأن لفظ ((دم)) معناه أم ، وبذلك يدل اسم آدم على انسان يجمع بين الأبوة والأمومة أو بين التذكير والتأنيث . أما اسم حواء فمعناه حية أو حياة (١١) .

وتذكر القصص الفارسية وقصص التلمود أن الله خلق بادىء الرأى امرءا يجمع بين ذكر وأنثى ظهراهما ملتصقان ثم فصل بين الذكر والأنثى . وورد هذا المعنى فى التوراة أيضا فهى تقول :

((يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله . ذكرا وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم))

تكوين ٥ : ٢

أى أن آدم كان ذكرا وانثى فى وقت معا (١٢) وبما أن آدم خلق على مثال خالقه

((خلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وانثى خلقهم)) .

تكوين ١ : ٢٧

فان الله ـ عندهم ـ يجمع أيضا بين خصائص الجنسين هذا، وقد سردت أساطير الفرس قصة الخطيئة الأصلية على النحو الآتى :

---

(١١) أما فى اللغة العربية فان اسم حواء مشتق من الحوة وهى الحمرة الضاربة الى السواد أو سمرة الشفة ، فهو أحوى وهى حواء .

(١٢) قال جريجورى أسقف نيسا ان آدم وحواء ولدا ولا جنس لهما وان الآية « ذكرا وانثى خلقهم » ترجع الى عمل تال لخلقهما نجم عن معصية آدم وانه لولا هذه المعصية لكان الناس يتكاثرون بطريقة تشبه بعض الشبه تكاثر النبات .

كان الزوجـــان الأولان من البشر ((مشيا)) و ((مشيانة)) يعيشان بادىء بدء عيش الطهر والبراءة ، وقد عاهدهما أرمزد، خالق كل ما هو خير ، على أن يديم عليهما السعادة ما استمسكا بعرى الفضيلة ، بيد أن أهريمان ، أس الرذيلة ومصدر الأذى ، دس عليهما شيطانا تراءى لهما فى صورة حية وعاطاهما من ثمار شجرة بهية المنظر من خصائصها أن تضفى الخلود على الأحياء وترد الحياة الى الموتى ، فتطرقت الى قلبيهمـــا نوازع الشر وزايلهما ما كانا يتحليان به من خلق رفيع ، ثم مالبث أهريمان أن سعى اليهما بنفسه فى صورة الحية نفسها ولم يزل يغرر بهما ويغريهما حتى اعترفا به ـ دون أرمزد ـ خالقا لكل ما هو خير ، وبذلك خسرا ما كان قد أعتد لهما من نعيم مقيم .

وفى أساطير المصريين القـــدماء أن ايزيس وأوزيريس كانا يعيشان معا فى الفردوس تظللهما السعادة وتحف بهما الهنـاءة وما فتئا فى تلك الحال الى أن استبدت بايزيس الرغبة فى أن تستقى ، من ماء الخلود ، فمضى أوزيريس يطلبه فكانت تلك عثرته .

وقد فشت أساطير كهذه فى مختلف الشعوب وكلها مجمع على ان المرأة الأولى اقترفت الخطيئة الأولى انقيادا للاغراء . وما يزال الناس فى الشعوب المتمدنة يقولون ((فتش عن المرأة)) وانـه ليسر الرجل أن يلقى على المرأة تبعة أخطائه ، والويل للضعيف.

وقد سردت لنا التوراة قصة الخلق مرتين ، أو بالحرى ، سردت لنا قصتين فى خلق الكون تستقل احداهما عن الأخرى، وقد ألصقت كل من القصتين بالأخرى فى غير لباقة ، وتستوعب الأولى منها الاصحاح الأول من سفر التكوين والآيات الثـلاث الأولى من الاصحاح الثانى ، وقد أطلق على ((الله)) فيها لفظ ((الوهيم)) بصيغة الجمع ، ويبدو الله فى تلك القصة الى حد بعيد كأنه مجرد فكرة لشىء معنوى ليس له وجود حسى ، فهو قادر على أن يخلق ما يريد مكتفيا بأن يقول ((كن)) وهذه القصة

خلاء من أية اشارة الى جنة عدن وما جرى فيها . وقد وضع الكهنة ـ بعد عودتهم من بابل ـ هذه القصة على غرار الأسطورة السامية التى سمعوها هناك . أما القصة الثانية وهى أقدم عهدا وأوغل بدائية ، فهى تبدأ بالآية الرابعة من الاصحاح الثانى وتنتهى بنهاية ذلك الاصحاح (١٣) ، وقد صور الله فيها مشاكلا للانسان فى سمته وسلوكه . وقد أفاضت هذه القصة فى حديث الجنة وحددت موضعها جغرافيا على الأرض

« وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة . ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس . اسم الواحد فيشون وهو المحيط . بجميع أرض الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثانى جيحون . هو المحيط بجميع أرض كوش (١٤) واسم النهر الثالث حداقل (١٥) وهو الجارى شرقى أشور والنهر الرابع الفرات (١٦)

تكوين ٢ : ١٠ ـ ١٤

وتختلف القصتان فيما يتصل بالمادة التى جبل الله منها الخليقة ، ففى القصة الأولى نجد الماء هو العنصر الأول (١٧)

« وروح الله يرف على وجه المياه »

تكوين ١ : ٢

---

(١٣) لم تكن أسفار اليهود المقدسة فى أول أمرها مقسمة اصحاحات بل ادخل عليها هذا التقسيم فى زمن لا حق .

(١٤) وهى الحبشة .

(١٥) وهو دجلة .

(١٦) اذا صح ذلك فمعناه أن فى مصوراتنا الجغرافية نقصا جسيما .

(١٧) وذلك ما كان يقول به المصريون والكلدانيون والفينيقيون والهنود والاغريق وأهل كرياتيا وغيرهم .

أى أن الله خلق من الماء كل شىء حى

« وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حيـــة وليطر طير فوق الأرض وعلى وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذى جنـاح كجنسه » تكوين ١ : ٢٠ ، ٢١

أما القصة الثانية فنجد فيها أن الله خلق كل شىء من طين .

« وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء » تكو ين ٢ : ١٩

وتتباين القصتان كذلك فيما يتصل بالترتيب الذى اتخـذه الكائن الأعلى فى خلق الكون خلال ستة أيام كما هو مبين فيما يلى :

فى اليوم	فى القصة الأولى وهى التى كتبهـا الكهنة بعـد السبى البابلى	فى القصة الثانية وهى أقدم عهدا
١	خلق السماوات والأرض والنور والظلمة	خلق السماوات والأرض
٢	خلق الجلد وجعـل بعض المياه فوقه وبعضها تحته	كان ينبثـق من الأرض ضباب يسقى أديمها
٣	اجتمعت المياه التى تحت الجلد فى البحار فظهرت اليابســة ونبتت الأعشاب والأشجار المثمرة	خلق من التراب انسانا اسماه آدم
٤	خلق الشمس والقمـر والنجوم	غرس جنة فى عدن شرقا واسكن آدم اياها
٥	خلق الزحافات (يقصـد الأسماك) والطيور والتنانين (يقصد الحيتان)	خلق حيـوانات البرية والطيور

٦	خلق الوحوش والبهائم وجميع دبابات الأرض ثم خلق آدم وحواء	خلق المراة من احدى ضلوع الرجل

أما تناقض القصتين فيما يتصل بخلق الجنس البشرى فيمكن إجماله فيما يلى :

	فى القصة الأولى	فى القصة الثانية
أولا	كان آدم وحواء آخر ما برأ الله من الخليقة	خلق الله آدم قبل حيوان البر وقبل الطير
ثانيا	خلق الله الانسان على صورته	لم يرد ذكر لذلك
ثالثا	خلق الله الانسان ذكرا وانثى دفعة واحدة	لاحظ الله ليومين من خلق آدم انه فى حاجة الى امراة تؤنسه ، بيد انه لم يخف الى خلقها بل انصرف عن ذلك الى خلق شتى الحيوانات وعرضها على آدم . وبعد ذلك خلق حواء
رابعا	بارك الله الناس « وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض »	لم يفعل ذلك بل انه جعل الحمل والولادة لعنة على المراة « وقال للمراة تكثيرا اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولادا
خامسا	ذكر الانسان من بادىء الأمر على انه مبعوث لاخضاع الأرض . ولم يرد ذكر البتة لجنة عدن التى حدثت فيها مأساة الخطيئة	وضع آدم فى عدن ثم زف اليه حواء ، ولكنها لم تحمل ولم تلد الا بعد نفيهما من الجنة

تزعم قصة الخلق الموسوية أن الخالق كان قبل يعيش بلا خليقة ، وفى يوم احد (١٨) من سنة ٤٠٠٤ ق.م (١٩) عن له أن يخلق الكون فاستحدثه من العدم ، وداب يعمل فى ذلك ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع .

« وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل (٢٠) » **تكوين ٢ : ٢**

---

(١٨) وهو أول أيام الأسبوع عند اليهود .

(١٩) أى قبل ٤٠٠٠ سنة من ميلاد المسيح فى سنة ٤ ق.م. وقد توصل رئيس الأساقفة « اشر » الى معرفة ذلك بحساب السنين التى عاشها كل من آدم وحفدته حتى رزق كل منهم ولده البكر . ويتضح من ذلك أن كتب التاريخ تضلل قراءها حين تذكر أن مصر كانت قبل هذا اليوم ذات حضارة مرموقة وكانت فخمة العمارة كما يتضح من ذلك خطأ ما يذهب اليه جمهرة علماء التاريخ الطبيعى من أن انسان الكهوف كان يعمر أوربا قبل ربع مليون سنة وان الأرض تزخر بالكائنات الحية منذ ملايين السنين .

(٢٠) ذكر محمد بن جرير الطبرى فى الجزء الأول من كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن عن ..

« عن ابن عباس ، قال هناد : وقرات فى سائر الحديث أن اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ... قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس=

وخلق الله كل ما فى الكون بترتيب عجيب ، فكان الضوء يشيع فى الأفق قبل أن تخلق الشمس . لقد كانوا يجهلون ـ فيما يجهلون ـ أن تعاقب الليل والنهار انما يولده تبدل موقع القارات من الشمس نتيجة لدوران الأرض حول محورها ، ولهذا جعلوا النور يخلق فى اليوم الأول .

« وقال الله ليكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن . وفصل الله بين النور والظلمة . ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا . وكان مساء وكان صباح يوما واحدا » .

تكوين ١ : ٣ ـ ٥

ولكن كيف فصل الله بين النور والظلمة وكيف كانا مختلطين من قبل ؟

ليس النور بشيء له وجود ايجابى وانما هو ظاهرة تحدث طوعا لسنن معروفة فى علم الفلك وعلم البصريات ، أما الظلمة فليست بشيء مادى يمكن أن يمزج بالنور ويدمج فيه ثم يفصل منه ، وانما هى مقدار سلبى ، هى احتجاب النور .

=والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال من يحيا ومن يموت وفى الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس . فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة . ثم قالت اليهود . ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش . قالوا قد أصبت لو أتممت . قالوا : ثم استراح ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون)

لقد كانوا يتوهمون أن الظلمة شكل من أشكال المادة ، ولذا قالوا في قصة الضربات البشعة التي انحى بها موسى على مصر أن الظلام قد اشتدت حلكته في مصر بأمر موسى .

« حتى يلمس الظلام »

خروج ١٠ : ٢١

لقد قدموا المعلول على العلة فجعلوا الأرض تخلق في اليوم الأول على حين أن أمها الشمس لم تخلق الا في اليوم الرابع . وجعلوا أديم الأرض يكتسي بالخضرة في اليوم الثالث .

« فأخرجت الأرض عشبا وبقلا » تكوين ١ : ٢

قبل أن تتجلى ذكاء (الشمس) في اليوم الرابع فترسل ضوءها العسجدي وهو لا غناء عنه للنبات في التمثيل الكلوروفيلي الذي هو سبب اخضرار لون النبات ومصدر هام لاغتذائه .

وجعلوا الحيوانات تخلق بترتيب يباين ترتيب رتبها وفصائلها ، فقد خلقت الحيتان عندهم قبل الثدييات وما الحيتان الاطور متأخر منها .

« فخلق الله التنانين العظام (٢١) وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات (٢٢) ووحوش ارض كأجناسها وكان كذلك » . تكوين ١ : ٢٤

وجعلوا الوحوش تطعم العشب .

« ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاما » .

تكوين ١ : ٣٠

---

(٢١) وهي في الانجليزية great whales فهي حيتان لا تنانين يعني

(٢٢) وهي في الانجليزية creeping things الزواحف كالثعابين والأورال .

وعندهم أن الله خلق الحيوانات زوجين زوجين(٢٣) ذكرا وانثى الا الرجل فقد خلقه الله وترا لا شفعا .

« وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى انفه نسمة حياة(٢٤) فصار آدم نفسا حية(٢٥)

تكوين ٢ : ٧

---

(٢٣) الزوج : كل واحد معه آخر من جنسه ، والعامة تخطىء فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب اذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم زوج حمام وانما يقولون زوجان من حمام وزوجان من خفاف . ولا يقولون للواحد من الطير زوج بل للذكر فرد وللأنثى فردة .

(٢٤) هى فى الانجليزية the breath of life يعنى الهواء الذى نستنشقه اى « نفس » بفتح الفاء .

ونذكر لهذه المناسبة أن كلمة «روح » العبرية اخذت على انها تعنى « روح » العربية و spirit الانجليزية .

« وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه » . تكوين ١ : ٢

والصواب انها تعنى « ريح » لاروح .

ويرى فى الآية .

« فقال لى تنبأ للروح . تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا » . حزقيال ٣٧ : ٩

وبالرجوع الى الترجمة الانجليزية نجد ان كلمة روح قد وضعت هنا فى المرة الأولى مقابل كلمة wind اى ريح وانها وضعت فى المرة الأخيرة مقابل كلمة breath ومعناها نسيم .

(٢٥) ومعنى هذا أن الانسان صنع من الطين دفعة واحدة ، ولم ينحدر من سلسلة كل لاحق فيها أرقى ممن سبقه

ذكر الطبرى فى الجزء الأول من كتابه «تاريخ الامم والملوك »انه :

وأسكن الله آدم جنة ، أى حديقة ، فى بقعة اسمها ((عدن)) ثم عرض عليه الحيوانات كلها فنشط آدم يضع لكل منها اسمه العلمى(٢٦) ، وهو عمل ضخم لا ينهض بمثله فى الوقت الحاضر أقل من مجمع علمى كامل بيد أن آدم كان فى غضون ذلك معنيا بالبحث عن شريكة لحياته .

لما أراد الله جل جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء ابليس على الكبر ... فبعث الله جبرائيل عليه السلام الى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض انى أعوذ بالله منك أن تنقص منى شيئا وتشيننى فرجع ولم يأخذ ، فبعث الله ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فبعث ملك الموت فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا ، واللازب هو الذى يلتزق بعضه ببعض ثم ترك حتى تغير وانتن ، وذلك حين يقول (من حمأمسنون) .

وعن عن ... عن ابن عباس قال :

فخلق آدم بيده فمكث أربعين ليلة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت ، قال فهو قول الله تبارك وتعالى (من صلصال كالفخار) . قال ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويدخل فى دبره ويخرج من فيه ثم يقول : لست شيئا للصلصلة ولشىء ما خلقت،ولئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت على لأعصينك . فلما نفخ الله الروح ودخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ، فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول (خلق الانسان من عجل) فلما تمت النفخة فى جسده عطس فقال الحمد لله رب العالمين بالهام الله فقال يرحمك الله يا آدم .

(٢٦) أما النباتات فلم تعرض على آدم لهوان شأنها عند اليهود .

« فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره » .
تكوين ٢ : ٢٠

ولاحظ الله ان آدم وحيد فريد يفتقر الى امرأة توفر له أنسه وتحفظ عليه جنسه فعقد العزم على أن يطرفه بما يشتهى ، غير أنه ، ولا ندرى لماذا ، لم يخلق المرأة من العدم الأصلى الذى خلق منه الكون او التراب الذى خلق آدم ، بل اوقع على الرجل سباتا وانتزع ضلعا من ضلوعه(٢٧) صاغ منها امرأة فارهة(٢٨) زفها اليه وبلغهما انه اباح لهما كل شيء ما عدا شيئا واحدا نهاهما أن يقرباه وكان من الطبيعى أن يقربا هذا الشيء المدفوع عنه وأن يذوقا الفاكهة المحرمة(٢٩) .

ولسنا ندرى ما هذه الشجرة العجيبة ذات القوى السحرية ، شجرة معرفة الخير والشر ؟ ولم أنبت الله هذه الشجرة فى وسط الجنة ولم يجعلها فى مكان ناء قصى ؟ ولم نهى عن الأكل من

---

(٢٧) كان المسيحيون الأوائل يعتقدون أن عدد ضلوع الرجل يقل ضلعا عن عددها عند المرأة .

(٢٨) الفاره : المليح النشيط الحاذق .

(٢٩) ولسنا ندرى أية فاكهة تلك . لقد ذكر الشاعر ملتن فى « الفردوس المفقود » أنها تفاحة ، وكذلك جعلها بيرون فى « دون جوان » ، ويرى آخرون أنها كانت شيئا مثل جوزة الطيب مما يتعاطاه الناس طلبا لاذكاء القوة الجنسية . وذكر بعض الشراح المسلمين أنها البر اى القمح ، ولكن يلاحظ أن البر ليس بشجر وليس شهيا للنظر ولا جيدا للاكل الا بعد أن يطحن ويعجن ويخبز.

نقل الطبرى عن عن ... عن ابن عباس أنه قال :

كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما .

ثمرها وعد تمييز الانسان بين الخير والشر عملا عدائيا نحوه(٣٠) .

ان تمييز الانسان بين الخير والشر هو بدء ادراكه الخلقى ومستهل مقدرته على توجيه مصيره ، وهو ارتقاء لا انحطاط ، فلم وجد يهوه فى أكل الانسان من ثمر هذه الشجرة كارثة حلت بشخصه ؟ ولم ترتب على أكل الانسان منها اقصاؤه عن الجنة .

« قال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الابد » تكوين ٣ : ٢٢

ومن هم أولاء الذين أشار الله اليهم بقوله « كواحد منا ؟ هل هم آلهة آخرون ؟

وما تلك الشجرة الأخرى ذات القوة السحرية التى تورث ثمارها الآكلين خلود الأبد ؟

ولم ينكر يهوه على الانسان أن يخلد على حين انه لم ينكر ذلك على الكائنات الأخرى التى عناها بقوله « كواحد منا » ؟

وقد امتثلت حواء لأمر يهوه ردحا من الدهر ، ثم دلفت الى الجنة حية(٣١) لا ندرى من أى ارض أقبلت ولا نعرف كيف تسنى لها أن تلج الجنة ولكنا نعرف أنها .

« أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب »
تكوين ٣ : ١

---

(٣٠) لعل هذا هو السبب فى معاداة رجال الكهنوت للعلم .

(٣١) يزعم بعضهم أن الحية فى هذه القصة انما هى رمز يشار به الى الشهوة الجنسية وأن المقصود بالقصة كلها هو الابانة عن أن الشهوة الجنسية والمعرفة تقضيان على الطهر وتبددان السعادة وتبدلان بالخير شرا ، وأن المرأة هى مطية الشيطان وأحبولة لايقاع الانسان فى حبائل الشرور .

ولبثت الحية ترصد حواء حتى ألفتها على مبعدة من آدم وعلى مقربة من شجرة معرفة الخير والشر فتراءت لها وتحدثت اليها ولا ندرى متى حذقت هذه الحية اللغة العبرية ؟ ولا كيف ظلت حواء ساكنة لا يبدو عليها شيء من الدهش وهى ترى حية عجماء تطارحها الحديث ؟

وزينت لها الحية أن تذوق هذه الفاكهة ذاكرة أنها تؤتى آكلها الحكمة والسداد .

كان الله قد حذر آدم وحواء من ثمر هذه الشجرة قائلا « لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا » . تكوين ٣ : ٣ ـ ٤

ولكنهما أكلا ولم يموتا بل امتد العمر بآدم ٩٣٠ سنة (٣٢) .

---

(٣٢) روى الطبرى عن عن ... عن ابن عباس انه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول من جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وان الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار الى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى فيهم رجلا يزهر (أى يتلألأ) فقال أى رب أى بنى هذا ؟ قال هذا ابنك داود . قال أى رب كم عمره ؟ قال ستون سنة . قال أى رب زده فى عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك . وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره اربعين عاما فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبض روحه قال انه بقى من عمرى اربعون سنة ، قالوا انك قد وهبتها لابنك داود . قال ما فعلت ولا وهبت له شيئا ، فأنزل الله عليه الكتاب وأقام عليه الملائكة شهودا فأكمل لآدم الف سنة وأكمل لداود مائة سنة .

وقد عمر داود سبعين سنة .

«وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة » . ٢ صموئيل ٥ : ٤

« فكانت كل ايام آدم التى عاشها تسع مئـــة وثلاثين سنة ومات » . تكوين ٥ : ٥

وليس فى القصة ما يدل على انه كان قبل مخلدا لا يموت كما تقول المسيحية(٣٣) ولكن فيها ما يدل على انه طرد من الجنة(٣٤) حتى لا ..

---

(٣٣) « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت . هكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع » . رومية ٥ : ١٢

«فانه اذ الموت بانسان بانسان ايضا قيامه الاموات. لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح ســـيحيا الجميع ». ١ كورنثوس ١٥ : ٢١ ــ ٢٢

ولكن الموت كان فاشيا فى الأرض قبل أن ينشأ الجنس البشرى بحقب طويلة ، ومن ذلك أن الحيوانات المفترسة كانت تقضى على فرائسها من آكلات العشب .

(٣٤) نقل الطبرى انه :

تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وانه اخرجه فيه من الجنة واهبطه الى الأرض فيه وانه فيه تاب عليه وفيه قبضة .

وعن ابن عباس :

أهبط آدم بالهند وحواء بجدة فجاء فى طلبهـــا حتى اجتمعا فازدلفت (أى قربت) اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة (هى موضع بين عرفات ومنى) وتعارفا بعرفات فلذلك سميت ، واجتمعـــا بجمع فلذلك سميت جمعا . قال واهبط آدم على جبل بالهنـــد يقال له بوذ . وقال آخرون :

بل أهبط بسرنديب (جزيرة سيلان) على جبـــل يدعى بوذ وحواء بجدة من أرض مكة وابليس بميسان والحية بأصبهان .

وعن عطاء بن رباح قال :

لما اهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه فى الارض =

. . . . .

وراسه فى السماء يسمع كلام أهل السماء ودعـــاءهم ، يأنس اليهم (أى يألفهم ولا ينفر منهم) فهابته الملائكة حتى شكت الى الله تعالى فى دعائها وفى صلاته .

فخفض الى الارض فلما فقد ما كان يســمع منهم استوحش حتى شكا ذلك الى الله عز وجل فى دعائه صلاته فوجه الى مكة فصار موضع قدمه قرية وخطوته مفازة حتى انتهى الى مـــكة وانزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنـــة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل « يطـوف » « حتى انزل اللـه الطوفـان » فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى ابراهيم الخليل عليه انسلام فبنـاه فذلك قـوله تعـالى (واذ بوانا لابراهيم مكان البيت) .

وعن ابن عباس قال :

نزل آدم عليه السلام الهند ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها واوديتها وامتلأ ما هنالك طيبـا ، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح الجنة .

وقالوا :

أنزل معه الحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصـا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ومر ولبان . وكان آدم حين هبط يمسح راسه السماء فمن ثم صلع واورث ولده الصلع ، ونفرت من طوله دواب البر فصارت وحشا من يومئذ . وكان آدم عليه السلام وهـو على ذلك قائم يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة فحط من طوله ذلك الى ستين ذراعا فكان ذلك الى أن مـات . ولم يجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده الا ليوسف عليه السلام .

وقيل :

ان من الثمار التى زود الله عز وجل آدم عليه السلام حين أهبط =

« يمد يده ويأخـذ من شجرة الحياة أيضـا ويأكل ويحيا الى الأبد » .

تكوين ٣ : ٢٢

وهكذا لم يقع لآدم وحواء ما انذرهما به يهوه من حلول الموت الزؤام به ولكن حدث ما انبأتهما به الحية من انه .

= الى الارض ثلاثين نوعا ، عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى ، فأما التى فى القشور منها فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشـــخاش والبلوط والشاهبلوط والرانج والرمان والموز ، وأمـــا التى لها نوى منهـــا فالخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج ، وأما التى لا قشور لها ولا نوى فالتفـــاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخرنوب والخيار والبطيخ .

وقيل :

كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة ، وقيل ان الحنطة انما جاء جبرائيل عليه السلام بعد ان جاع آدم واستعظم ربه فبعث الله مع جبرائيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة فوضعها فى يد آدم عليه السلام . فقال آدم لجبرائيل ماهذه فقال له جبرائيل هذا الذى اخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة الف درهم وثمانمائة درهم فقال آدم ما أصنع بهذه فقال انثره فى الارض ففعل فأنبته الله عز وجل من ساعته فجرت سنة فى ولده البذر فى الأرض ، ثم أمره فحصدت ثم امره فجمعـــه وفركه بيده ثم أمره أن يذريه ثم أتاه بحجرين فوضع أحدهما على الآخر فطحنه ثم أمره أن يعجنه ثم امره أن يخبزه ملة (فى التراب الحار) وجمع له جبريل عليه السلام الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار ، فهو اول من خبز الملة ، اه الى آخر هذا الهراء .

« يوم تاكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » . تكوين ٣ : ٥

فقد انفتحت أعينهما حقا فعلما انهما عاريان

« فانفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان ... »

تكوين ٣ : ٧

ولولا انهما عصيا امر يهوه لكنا نحن ايضا ما نزال الى اليوم عراة لا يستر سوآتنا حجاب .

« ... فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر » (٣٥)

تكوين ٣ : ٧

ولسنا نعلم متى تعلما الخياطة ولا من اين أتيا بالمخيط .

ومع أن الله موجود فى كل مكان فرضا فقد قدم الى الجنة من خارجها ، ومع انه ليس بذى رجلين فقد سمع الزوجان العاصيان خفق (٣٦) نعليه .

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار » تكوين ٣ : ٨

فتواريا وسط شجر الجنة من الاله الذى هو فى كل مكان والذى هو عالم بكل شىء .

وبدا يهوه يستوجب المتهمين ، فالقى البطل التبعة على زوجته والقتها هى على الحية .

« فقال آدم . المراة التى جعلتها معى هى اعطتنى من الشجرة فاكلت (٣٧) . فقال الرب الاله للمراة .ماهذا الذى فعلت ؟ فقالت المراة الحية غرتنى فاكلت » .

تكوين ٣ : ١٢ ـ ١٣

---

٣٥) ربما كان الصواب « مئزرين » بصيغة المثنى .

٣٦)خفقت النعل : صوتت . يقال سمعت خفق نعالهم .

٣٧) تذكرنا هذه الاجابة بما أجاب به هرون شقيقة موسى عندما سأله عن صنعه العجل الذهب ودعوته قومه الى عبادته،=

وتم الاستجواب ونطق يهوه بالحكم وهو يقضى على الحيـــة الجارمةوعلى جميع الحياتغيرالمجرمات وعلىذراريها من بعدهابان يكون سعيها فى الارض زحفا على البطون وان يكون غذاؤها التراب وان تجد نفسها الى الابد عرضة لسحق رءوسها .

« فقال الرب الاله للحية . لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية . على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ٣٨) .
واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها .
هو يسحق رأسك وانت تسحقين عقبه » .

تكوين ٣ : ١٤ ــ ١٥

ويفهم من ذلك :

١ ــ أن الحيات كانت ، قبل أن تجترم احداها هذا الذنب فى الجنة ، تمشى منتصبة .

٢ ــ وانها كانت تتغذى بغذاء كالذى يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان .

= فقد انكر انه اراد ان يصنع عجلا وقال انه انما جمع مالدى القوم من ذهب واوقد تحته النار فاذا هو قد صار عجلا جسدا يكاد يسمع له خوار .

« فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ويعطينى فطرحته فى النار فخرج هذا العجل »

خروج ٣٢ : ٢٤

٣٨) زعم أشعيا أن الحيات سوف تأكل التراب تواضـــعا وتعففا فى وقت يظلل السلام فيه الأرض وتتغير طبائع الحيوانات وخصائص أسنانها ومعدها .

« الذئب والحمل يرعيان معـــاو الأسد يأكل التبن كالبقر . أما الحية فالتراب طعامها » .

أشعياه ٦ : ٢٥

٣ ـ وأنها غدت الآن تستف التراب .

٤ ـ وأن التراب ، وهو خليط من مواد غير عضوية ، يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الجسم الحيوانى .

لقد خلق الله آدم بعيدا عن الكمال وما انفك يراقبه حتى وقع فى المصيدة ، ثم أوقع العقاب بالكائنات طرا فلعن الحيات كلها من جريرة تلك الحية التى كان قد فسح لها مكانا فى جنته ثم لعن النساء جميعا فى شخص أمهن حواء(٣٩) .

« تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك » .

تكوين ٣ : ١٦

---

(٣٩) سرد الطبرى قصة خطيئة الجنس البشرى على النحو الآتى :

عن عن ... عن محمد بن قيس قال :

فجاء الشيطان فدخل فى جوف الحية فكلم حواء ووسوس الى آدم فقال « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » . قال فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » وعن عن ... عن ابن زيد .

ووسوس الشيطان الى حواء فى الشجرة حتى اتى بها اليها ثم حسنها فى عين آدم . قال فدعاها لحاجته قالت لا الا أن تأتى ها هنا ، فلما اتى قالت لا الا أن تأكل من هذه الشجرة ، قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما . قال وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه يا آدم امنى تفر ؟ قال لا يارب ولكن حيائى منك قال يا آدم انى اوتيت ؟ قال من قبل حواء يارب . قال الله عز وجل فان لهاعلى ان ادميها فى كل شهر مرة كما ادمت هذه الشجرة وان اجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان اجعلها تحمل كرها وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا .

فأما أوجـــاع الحمل والولادة فهى من معقبـات المدنيـة والترف ، ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاهة العيش ورفاهة الشعور ، على حين لا يشعر بها المتوحشون الا هونا ما . ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات الوحشية والمستأنسة . أما سيادة الذكر على الانثى فهى القانون السارى فى عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل . وقد لعن الله الارض التى جبل منها آدم من جراء ما أتاه فوق ظهر أرض الجنة .

= وعن عن .. عن وهب بن منبه ، قال :

لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونها متشعب، بعضها فى بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة يخلدهم وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد ابليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية وكان للحية أربع قوائم فلما دخلت الجنة خرج من جوفها ابليس فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء بها الى حواء فقال انظرى الى هذه الثمرة ما أطيب ريحها وطعمها وأحسن لونها ، فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها الى آدم فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم فى جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين أنت ؟ قال أنا هنا يا رب، قال ألا تخرج قال استحى منك يارب . قال ألا تخرج قال استحى منـك يارب . قـال ملعونة الارض التى خلقت منها لعنة حتى تتحول ثمارها شوكا . ثم قال يا حواء أنت التى غررت عبدى فانك لا تحملين حملا الا حملته كرها فاذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارا . وقال للحية أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غر عبدى ، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك فى بطنك ولا يكن لك رزق الا فى التراب . أنت عدوة بنى آدم وهم أعـــداؤك ، حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك

« ملعونة الأرض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك » . تكوين ٣ : ١٧

وهكذا أصبح الجنس البشرى كله آثما باثم آدم وحواء ، وحقت عليه كله اللعنة من أجل ثمرة واحدة من ثمار الفاكهة أكلت وكان آكلاها على غير خبر بالخير والشر ، فالى فضولهما مرد الخطيئة الاولى فى العالم (٤٠) . لقد أودى بنا نحن المساكين الكثرى الجد تشهى حواء للفاكهة . هى أكلتها ونحن أصبنا بآلام المدة ، وسيظل ألوف الملايين من البشر يتلوون من الالم جيلا أثر جيل لأن حواء ذاقت ثمرة من ثمارتلك الشجرة .

وقد جوزى آدم وحواء على أكلتهما هذه باخراجهما من الجنة ولو أن آدم لم يستجب لدعوة زوجه لطردت هى وحدها وبقى هو فى الجنة فردا عزبا لا أنيس له ولما كان ثم سبيل الى مجيئنا نحن الى هذا العالم غير التلقيح الصناعى .

وخشى يهوه أن يعود آدم الى الجنة ويأكل من ثمار شجرة الحياة فيخلد ، فأقام على باب الجنة سرية من الملائكة يذودون عنه ذلك المتطفل أن طوعت له نفسه أن يرجع ، ونصب عند الباب سيفا ينفث نارا ولا ينى يضرب فى الهواء عن اليمين وعن الشمال ويغير اتجاهاته من تلقاء نفسه ليقطع خط الرجعة على آدم اذ كان من الجنة غير بعيد .

---

(٤٠) وقد اسست المسيحية كلها على هذه الحكاية ففى انكارها انكار للمسيحية من ألفها الى يائها . ومن جحد الخطيئة فقد انكر الفداء ومن رفض آدم كان عسيرا عليه ان يقبل يسوع ومن رفض سفر التكوين وجب عليه أن يرفض الاناجيل و « أعمال الرسل » . ان العهدين القديم والجديد مترابطان أوثق الترابط فمن نبذ أحدهما فقد نبذ الآخر معه . وقصة الخلق هى اساس الكنيسة فاذا كان الاساس موهونا انهار البناء كله . (رومية ٥ : ١٨)

« أقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » .

تكوين ٣ : ٢٤

ولبثه كان قد اتخذ هذه الحيطة لمنع تسلل الحية الى الجنة بدلا من ايصاده باب الاصطبل بعد فرار الحصان . ولسنا ندرى ماذا كان من أمر السيف المتأجج المتوهج ؟ فلعل مياة الطوفان أخمدت لهيبه .

ولسنا ندرى ما الذى آل اليه أمر الحية ؟ هل طـــردت هى الأخرى من الجنة أو هى ما تزال فيها ؟ هناك من يزعم أن الحية لم تكن هى نفسها التى أغرت حواء بل كان الشيطان هو الذى فعل ذلك متقمصا اياها ، فـــاذا كان ذلك كذلك فلم لعن الله الحيات وجعلها تستف التراب ؟

هذا ، ويبدو أن الرب لم يرقه المئزران اللذان خاطهما آدم وحواء لنفسيهما من ورق التين ، ولذا .

« صـــنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصـــة من جلد والبسهما » . تكوين ٣ : ٢١

فمن أين جاء بالجلد الذى صنع منه الاقمصة ؟ هل عمد الى بعض حيوان الجنة فذبحه وسلخه ودبغ جلده ، ثم خاطـــه ؟ وهل كان ، جل جلاله ، جزارا وسلاخا (بشكيرجى) ودباغا وخياطا ؟

لقد ضن يهوه على الانسان الأول بثمرة من شجرة ، فلما أكلها ضاعف للنساء آلام الحمل والولادة وقسر الحيوان على ســـف التراب وأغرق العالم كله بالطوفان ثم انتحر صالبا نفسه على فلقة من خشب .

يتضح مما تقدم أن هذه الاقاصيص :

١ ـ قصة خلق الكون فى ٦ ايام .

٢ ـ قصة الرجل الطين والمرأة الضلع .

٣ ـ قصة خطيئة الانسان ونفيه من الجنة .

هذه الاقاصيص جميعا .

١ ـ منتحلة من اساطير عالمية اقدم من التوراة عهدا .

٢ ـ ليست مطردة النسق بل هى تناقض نفسها فى مواطن شتى .

٣ ـ ليست مطابقة للحقائق العلمية المعروفة بل هى تصطدم بها .

ولهذا عمد الذين نشروا « الكتاب المقدس للاحداث » فى الولايات الامريكية المتحدة الى حذف هذه الأقاصيص منه . وقد التمس المفسرون منجاة من الحرج بتحميل الفاظ الكتاب من المعانى مالا تحتمل .

١ ـ فزعموا أن الايام الستة التى خلق الله فيها خليقته ليست كهذه الايام ذات الساعات الأربع والعشرين بل ان كلا منها دهر طويل يقاس بألوف السنين وانه لزعم سقيم لا يتفق وقوله « وكان مساء وكان صباح » تكوين ١ : ٥ + ٨ + ١٣ + ١٩ + ٢٣ + ٣١

ولا سيما فيما يتصل بما بعد خلق الشمس فى اليوم الرابع .

واذا صدق تأويلهم هذا فماذا من أمر اليوم السابع ؟ وهل يبقى بعد ذلك مبرر لتقديس يوم السبت ؟ ثم ماذا عسى ان تكون جدوى الاعشاب والاشجار التى برأها الله فى اليوم الثالث .

« فأخرجت الأرض عشبا وبقلا وبزرا كجنسه وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه.ورأى الله ذلك انه حسن وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا ».

تكوين ١ : ١٢ ـ ١٣

ولم يكن فى تلك النباتات غناء لأحد ، وهو لم يكن قد اعتزم أن يخلق البهائم وما اليها الا فى اليوم الخامس أى بعد الوف السنين .

وكيف قضى آدم فى عزوبته الوف السنين التى مرت بين اليوم الثالث الذى براه الله فيه ثم اسكنه الجنة حسبما ورد فى القصة الثانية . (تكوين ١٢ : ١٥)

واليوم الساس الذى خلق فيه حواء من احدى ضلوعه ؟ (تكوين ٢ : ٢١ ــ ٢٢)

هل كان خلال تلك الحقب الطويلة يداعب الحيوانات ولا يصنع شيئا آخر ؟

ثم كيف يكون آدم قد عاش تلك الالوف من السنين على حين انه .

« كانت كل أيام آدم التى عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات » .

تكوين ٥ : ٥

٢ ــ وقالوا ان الجلد المذكور فى قوله

« فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد وكانت كذلك . ودعا الله الجلد سماء » تكوين ١ : ٧ ــ ٨

والسماء هى الفضاء الواسع الذى يحيط بالأرض فكيف يفصل بين مياه فوقه ومياه تحته ؟

٣ ــ وقالوا ان قوله

« خلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وانثى خلقهم » تكوين ١ : ٢٧

يفيد انه خلقه على صورته فى الطهر ، وهو تفسير داحض يبطله ان آدم وحواء لم يكونا طاهرين ، فان الجنس البشرى كله ما يزال يرزح تحت وقر خطيئتهما وان ابناءهما كذلك لم يكونوا أطهارا فقد فتك أحدهم بأخيه وهو أشد ما يكون حاجة الى عونه فى تلك الوحدة التى تبعث الرهبة فى النفس ، كما ان حفدتهما الادنين بلغوا من الفساد مبلغا جعل الله يندم على ان براهم .

« فحزن الرب انه عمل الانسان فى الأرض . وتأسف فى قلبه » . تكوين ٦ : ٦

ولم يجد وسيلة يستدرك بها خطاه هـذا غير اغراق الارض بما عليها .

٤ ـ وقالوا ان الله حين قال

« هو ذا الانسان قـد صار كواحد منا عارفا الخير والشر » تكوين ٣ : ٢٢

انما كان يتحدث عن الاقنومين الآخرين من أقـانيم الثالوث ، وهو تأويل واضح البطلان .

٥ ـ وقالوا ان المعنيين بأبناء الله الذين افتتنوا ببنات الناس وتزوجوا منهن .

« وبعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا ... » تكوين ٦ : ٤

ليسوا سوى أبناء شيث بن آدم وأما بنات الناس فما هن سوى بنات قايين قاتل أخيه هابيل

وهنالك كثير من هذه التفسيرات المضـللة لا تتصـل بهذا البحث ، منها .

١ ـ أن مصارعة يعقوب لله فى فنيئيل (تلك المصارعة التى انتهت بخلع حق فخذ يعقوب والتى كوفىء يعقـوب على فوزه بتغيير اسمه وجعله اسرائيل) هى مصارعة فى الصلاة .

٢ ـ أن القطعة الخليعة المعروفة باسم نشيد الانشاد انما تصف الحب المتبادل بين المسيح وكنيسته ، وأن ما ورد فيها عن ثدى المرأة وفخذها وبطنها انمـا هى رموز لاتحاد يهـوه والسيناجوج .

قصـــة الطوفـــان

عرض القرآن الكريم لطوفان نوح غير مرة ، فعندما استغلظ امر المشركين ولقى الرسول منهم عنتا فادحـــا نزلت آيات من القرآن تترى تنذرهم بوخامة عاقبتهم وتبصرهم بما حل بأقوام قبلهم بغوا على أنبيائهم فأهلكهم الله بوسائل شتى .

« فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عـــاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » الحاقة ٥ ـ ٦

وأما قـــوم نوح فأهلكوا بالطوفـــان (الزاريات ٤١ ـ ٤٦) وليست قصة قوم نوح فى القرآن بمختلفة فى الاهمية كثيرا عن قصص عاد وثمود وغيرهم بل هم سواء .

« الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعـــدهم لا يعلمهم الا اللـــه جاءتهم رسلهم بالبينـــات فردوا أيديهـــم فى أفواههم وقالوا انـــا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب » . ابراهيم ٩

ويلاحظ أن مسرح الاحداث فى كل قصة لم يكن يتجاوز قرية واحدة أو بضع قرى متجاورات . وليس يشذ الامر عن ذلك فيما يتصل بقوم نوح ، فقد أهلك الله قريتهم بالطوفان أى بفيضـــان عارم من دجلة والفرات كان عنيفا مخيفا كذلك الذى دهم أهـــل العراق فى أبريل من سنة ١٨٣٩ م ، اذ طمت امواه الرافدين فطفت فى شوارع بغداد وما اليهـــا حتى ناهزت مترين وركبت البلاد حتى كانت السفن تمخر فيها ، وكان المرء لا يبصر اينمـــا ضرب ببصره غير لجة لا يدرك الطرف مداها ولا يبرز منها غير ذرى المآذن وشطب النخيل (وهو سعفها الاخضر) .

واذ كان أبرام وصحبه مؤسسو فلسطين من تلك النواحى فمن الممكن القول بأن مخيلتهم كان قد انطبع فيها ذكرى فيضان من هذا القبيل .

ولكن صناع التوراة لم يرقهم ان يكون شأن نبيهم العبرى نوح

هينا كشأن النبى العربى صالح ، ولم يرضهم ان ينحصر طوفان نبيهم وراء حدوده المحلية ، ولم يقنعوا بأقل من اغراق الكوكب الارضى من أكنافه الأربعة ، ورأوا ألا تكون قصة الطوفان قصة مستقلة قائمة بنفسها فوصلوها بغيرها ليجعلوا منها فصلا هاما فى ملحمة صهيونية يهودية طويلة مفادها أن الله اختبر عباده فأبدى بنو آدم من بادىء الأمر كثيرا من سوء السيرة وخبث السريرة ، وما فتئت ذرية آدم تزداد على الزمن ارتداغا فى الاوحال وايغالا فى الآثام حتى أصبحت لا تطاق فلم يجد خالق الأرض مندوحة عن اغراقها : ما عليها ومن عليها ، لم يستحيى من بنى آدم كلهم غير نوح وبنى نوح وزوجهاتهم ، فجماع البشرية فى الوقت الحاضر هم بنو نوح كما انهم بنو آدم .

على أن الطوفان الذى أغرق الناس لم يغرق الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، ومن ثم لم يبرح الناس سادرين فى مهاوى الغواية لا ينبو عنهم فى ذلك سوى بنى اسرائيل فاتخذهم الله شعبا مختارا له وارتضى لهم الصهيونية شعارا وابادة جيرانهم العرب مذهبا ، ووائقهم على ان يقطعهم اخصب الاودية المعروفة فى ذلك الزمان وسائر البقعة الوسيطة من الأرض المترامية بين النيل والفرات .

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » . تكوين ٢٥ : ١٨

وقد أراد كتاب التوراة أن يسوغوا اعتداء الاسرائيليين على البلاد التى يغزونها فادعوا أن أهل تلك البلاد قد منوا بلعنة من البطارقة الكبار أمثال نوح وابرام واسحق وأن الله فضل بنى اسرائيل على كل من عداهم وأحل لهم ـ من ثم ـ سفك دماء سائر الناس واستلاب أموالهم والاجحاف بحقوقهم . ولما كلت قرائحهم البليدة عن تبيان ما اختص اله اليهود به شعبه المختار من عظيم الخلال وما اتاه هذا الشعب من مجيد المكرمات التى تسبغ عليهم الفضل المزعوم ،لجاوا الى محاولة اسقاط مروءة

سبة عند العبريين ، فاقترحت عليه أن يدخل بجاريتها المصرية هـــاجر فيكون له منهـــا ولد . وبنى ابرام بهاجر فولدت له اســماعيل ، ثم وفد عليه نفر من الملائكة وأصابوا عنده من الطعام الذى جهزته امرأته سارای ما طابت به انفسهم فبشروها بأنها ستحمل وتلد ، وتحققت البشرى فولدت له اسحق وهو عبرى خالص غير مهجن وبذلك لم يبق من حاجة الى الأمة وابن الأمة، فطردت سارة جارتها هاجر وابنها اسماعيل وأصبح اسحق هـــو الذبيح الذى فداه الله بذبح عظيم .

٥ ــ ومن اسحق ولدين توأمين كان أولهما ابصارا للنور هو عيسو وتلاه يعقوب ، فوجب اقصاء احدهما من الميدان ، ومن الطبيعى أن يقصى عيســـو (العيص) وأن يستبقى يعقوب لأن يعقوب هو اسرائيل أبو بنى اسرائيل رؤساء الأسباط (أى القبائل) اليهودية . وقد كتب الفوز لاسرائيل على أخيه عيسو بفضل مكيدة حاكتها أمه اذ ألبسته ثياب أخيه فى غيبته ومضت به الى أبيه الكليل الطرف وقدمت له طعاما طيبا زعمت انه من صيد ابنه عيسو فخدع الرجل بابنه الأصغر يعقوب فباركه وهو يحسب انه الابن البكر عيسو .

« فشم رائحة ثيابه وباركـــه وقال .. ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين »
تكوين ٢٧ : ٢٧ ــ ٢٩

ويلاحظ أن اسحق لم يذكر فى مباركته هذه اسم ابنه الذى فاضت عليه بركته ولا اسم ابنه الآخر الذى حلت عليه لعنته ، على نحو ما فعل نوح حين قال :

« ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبدا لهم »
تكوين ٩:٢٥ــ٢٦

فقد كان الحديث كله مفصلا على قد الغرض النهائى الذى

يسعى اليه أحبار اليهود وهو اصدار مرسوم (فرمان) يخول بنى اسرائيل الحق فى أن ينهبوا العالم طرا .

وقد عاش نوح بعد الحقبة التى ذكرنا أخباره فيها ٣٥٠ سنة طواه فيها النسيان ، اذ أن كتاب التوراه أغفلوا أمره فيهـا كما أغفلوا قبل ذلك ما كان من أمر آدم وحواء بعد طردهما من الجنة فلم نعرف كيف عاشا فوق ظهر الأرض ولا أين طواهما بطنها

وانما أغفل كتاب التوراه بقية سيرة نوح لأن الافاضة فيهـا لا ينال بها الغرض الوحيد الذى وضعوه نصب أعينهم وهـم يحبرونها الا وهو الدعاوة للصهيونية ودعوة بنى قومهم الى الاغارة على البلاد العربية المجاورة ذات الخصب والثراء ، وحثهم علـى اجتثاث أهلها والحلول محلهم فى مرابعهم واستعباد من بقى منهم فى قيد الحياة واستذلالهم وممارسة النخاسة فيهم .

وفى سبيل هذه الغاية لم يبال صـناع التوراة أن يفسدوا قصة الطوفان افسادا شاملا ، وقد أسهبوا فى تفصيل ما تسرد من أحداث وتحديد ما تبين من أوصاف وغلوا فى تضخيم ما تشتمل عليه من احصاء ، فاذا تلك الأحداث ليست مستحيلة الحدوث فحسب بل هى كذلك تستعصى على التصور . لقـد خيل اليهم خبالهم انه بما أن الله قادر على كل شىء فمن الميسور أن يعزى اليه فعل أى شىء وان تكن فيه لسنن الطبيعة مجافاة ولأحكام العقل والمنطق منافاة ، ولمكارم الأخلاق مجانبة ، ومن الميسور أن يزعموا أن صدره قد وغر عليه من جراء مسلك اناس نكرات فى ركن قرية نائية فما عتم أن غمر بالطوفان وجه البسيطة فاذا الكرة الأرضية قد استحالت كرة مائية ولم يبق ثم غير خضم لجب لا شاطىء له ، تطفو فوق صفحته المتلاطمة جثث الخلائق الأبرياء ومن بينها جثث الذين عاونوا نوحا فى بناء سفينته

يا لهول الآلام المروعـة التى عاناها أولئك المساكين وهـم يشهدون المياه المتفجرة من أسفل تعلو حثاثا وتبتلعهم فريقا اثر فريق فيهرولون الى التلال ويصعدون فى الجبال فى عجلة محمومة

الشعوب المعروفة لهم فالصقوا بها وبزعمائها من المخازى مايسف بهم الى دركات احط من درك اليهود ، واقاموا فى سفر التكوين سلسلة من المصافى تحجز كل مصفاة منها شعبا من الشعوب بعد أن يحمله الاحبار المؤلفون من ضخام الاوزار ما تضيق ازاءه ثقوب المصفاة عن امراره .

١ ـ وكان طوفان نوح هو المصفاة الأولى وقد سدت الطريق فى وجوه بنى آدم ليقتصر المرور على بنى نوح وهم طلائع بنى اسرائيل .

٢ ـ وقد اسهبت التوراة فى وصف رحلة نوح على متن سفينته ، ثم افتنت فى تبيان الوان الأطعمة التى قربها نوح على مذبح الهه بعد انحسار الطوفان ثم سكتت فلم تذكر من امره بعد ذلك سوى حادثة واحدة بادية التفاهة كانت هى المصفاةالثانية التى ضاقت ثقوبها عن أن تسمح بمرور حام بن نوح ، فاقصته هو وابنه كنعان من زمرة الأخيار الذين بارك فيهم آباؤهم ،وبذلك لم يظفر بالمرور من الاخوة الثلاثة سوى سام مؤسس الجنس السامى الذى ينتمى اليه بنو اسرائيل .

فقد ذكرت أن نوحا أخلد الى حياة الاسرة وعاش زوجا ورب بيت يجمع حوله أولاده وحفدته . وشرع وهو فى مستهل القرن السابع من عمره يغرس بستانا من الكروم حتى اذا ما أينع العنب عصره خمرا وشرب منها وافرط فى الشرب فغاب عن وعيه وانكشفت سوأته .

((فأبصر حام ابو كنعان عورة ابيه واخبر أخويه خارجا ... فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام . وليكن كنعان عبدا لهم)) تكوين ٩ : ٢٢ ـ ٢٧

وانا لا نرى فى وقوع نظر حام على عورة ابيه وتحدثه فى ذلك الى اخوته ما يستتبع تلك النتائج الخطيرة التى ترتبت على

وشاية اخويه به اذ صب ابوه الوحى اليه لعنتـــه على كنعـان بن حام ولسنا ندرى لم تخطى نوح بلعنته المستجابة حاما الى كنعان ابنه ، الا أن تكون القصة كلها قد وضعت لتبرير المذابح البشعة التى أحدثها الاسرائيليون فى فلسطين وما زالوا يحدثونها هناك ولتسويغ سفك دماء العرب الكنعانيين التى ضرجوا بهـــا ثرى تلك البلاد .

أجل ، لقد استطاع كاتبو التوراة بهذه الفرية أن يضربوا بحجر واحد عصفورين معا :

أ ـ حث اليهود على استعباد شعوب وادى النيل من مصريين وسودانيين وحبش بزعم أن جدهم حاما باء بلعنة من أبيه نوح .

ب ـ تحريضهم على اصطلام العرب أصحاب فلسطين بزعم أن جدهم كنعان باء بلعنة من جده نوح ، وهؤلاء العرب الكنعانيون هـم الذين نافحوا عن الوطن الفلسطينى مايربى على ٤ قرون واستعصى على اليهود تدويخهم حتى زمن الملك داود .

٣ ـ ولما استتب الأمر للساميين بدت الحاجة ماسـة الى مصفاة ثالثة لتنحية لوط عن منافسة عمه ابرام ، فذكروا أن لوطا استطاب المقام فى ربوع سودوم وعمورة ، ذلك الماخور الـــذى تمارس فيه متعة الجنس فى مختلف الوانها ، ثم انتهى به الأمر الى أن نزا وهو مخمور على ابنتيه فافترعهما فى ليلتين متتاليتين وأولد احداهما ولدا اسماه مؤاب وأولد الأخرى ولدا أســـماه بن عمى ، وبذلك لوثوا شرف المؤابيين والعمونيين ـ ألد خصوم الاسرائيليين وأشد محاربيهم صـــلابة وشجاعة ـ وزعموا أن مجيئهم الى العالم كان وليد عمل من اعمال العهر والفجور فهم أولاد زنية وتلك أكبر مثلبة يرمى بها امرؤ فى ذلك العصر .

٤ ـ وهكذا خلا الجو لابرام ابى اليهود وابى الانبياء . وقـد رزقه الهه ولدين فوجب أن تكون هناك مصفاة تمرر أحدهما وتحول دون مرور الآخر .

وقد فصلت التوراة قصتهما فذكرت ان سارای امراة ابرام ، وكانت عجوزا عقيما ، اشفقت أن يموت زوجها غير معقب وتلك

علها ان تعصمهم من الكارثة ، وقد مد الفتيان ايدى المعونة الى الفتيات واحتضنت الأمهات اولادهن ليدرأن عنهم غائلة الردى ، ولكن ما جدوى أن يرحم الهالكون بعضهم بعضا وقد طردهم الرحمن الرحيم جميعا من واسع رحمته ؟ وما لبث المتسلقون ان تهاووا بين اللجج وما أبطأ السابحون أن خذلتهم سواعدهم فأخرست الصرخات اللاهفة وأطبق على العالم صمت الموت الرهيب ، حتى اذا ما انحسر الطوفان بعد عام وبعض عام برز سطح الأرض أجرد من النبت لا يكسوه الا جثث المغرقين .

ان اللغة التى كتبت بها هذه القصة فى التوراة لا تدع مجالا للشك فى انها تتحدث عن طوفان عالمى غمر الأرض من اقصاها الى اقصاها ، فقد برح الأسى بالرب لأنه برأ الجنس البشرى ، فحزم أمره على أن يزهق نفوس الناس جميعا ويأتى على جميع مظاهر الحياة فى الأرض ، وانفذ مشيئته .

« فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء . خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه . فتغطت الجبال . فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض »

تكوين ٧ : ١٩ — ٢١

وفى هذه القصة من الشطط ما جعل بعض المبرزين من كتاب المسيحية يتحرجون من اقرارها ويلتمسون المهرب من ذلك فى الزعم بأنها انما تصف طوفانا بحريا محليا اقتصر أذاه على تلك البقعة من الشرق الأوسط . بيد أن سهل العراق ليس بالذى يلائم حدوث طوفان بحرى يغمر رقعته ، فهو يرتفع عن سطح البحر فى الشمال قرابة ١٨٠ مترا ويهبط تدريجا فى اتجاه الجنوب على امتداد ٥٠٠ كيلو مترا او ٦٠٠ كيلو متر حتى يدرك البحر .

ولو أن الطوفان كان مقصورا على المنطقة الممتدة الى جبال ارارات لبرز لنا سؤال محير هو كيف يمكن أن ينتصب جدار من الماء يربى سمكه على ٤ كيلو مترات وان يظل سنة كاملة متماسكا دون ان ينهار فيغمر الماء الأراضى المتاخمة .

لقد غالى كتاب التوراة فى تضخيم طوفان نبيهم حتى أصبح يصطدم مع كل معلوماتنا الحديثة وسع تفكيرنا المنطقى السديد، فاذا قرأ المرء هذه القصة فى صورتها اليهودية دارت ببالـــه طائفة من الأسئلة :

١ ــ لماذا خلق الله آدم ثم اباد بنى آدم كلهم باستثناء نوح وبنيه وزوجاتهم ؟ لماذا لم يوفر على الناس ما جشمهم من عناء وعنت ، بأن خلق نوحا وزوجته بادىء بدء تاركا آدم وحـــواء وأبناءهما طى التراب الذى جبل منه آدم ؟ ما جدوى تلك التجربة المضغة التى دامت ١٦٥٦ سنة وقد كان جل جلاله فى غنى عنها لسابق علمه بالنتيجة التى ستنتهى اليها ؟

٢ ــ لماذا ندم الرب على انه برأ الحيوان « فقال الرب امحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت انى عملتهم » تكوين ٦ : ٧
مع أن الحيوان لم يأكل من الفاكهة المحرمة ولم يطمح ببصره الى أن يطعم من شجرة الحياة ؟

٣ ــ ولماذا أقحم تلك الحيوانات الطاهرة البريئة فى تلك المحنة المروعة وحملها تلك الآلام الوبيلة ؟

فى هذه القصة ، كما هو الشأن فى سائر قصص « العهـد القديم » يشاطر الحيوان الانسان حظه ، فقد حرى بنو اسرائيل على أن يقتلوا كل من يلقونه ــ فى البلاد التى يغزونها ــ من الرجال والنساء والأطفال ومن الحيوان كذلك .

ومن المعقول أن تكون هذه هى عدالة بنى اسرائيل ولكن من غير المعقول ومن غير المقبول ان تكون هى عدالة الله .

٤ ــ كيف وصلت الحيوانات التى اقلتها سفينة نوح اليهـــا واكثرها يقيم فى اصقاع نازحة ، فالكنجرو ــ مثلا ــ يعيش فى أوستراليا دون غيرها ، والحيوان الكسلان لا يعيش خـــارج امريكا الجنوبية ، والزرافة لا تستوطن الا افريقيا ، وقرد الاورانج اوتان (انسان الغاب) لا يسكن فى غير جزيرتى بورنيو وسومطرة؟

هل طاف نوح بسفينته على القارات الست فى غضون المدة التى أمهله اياها يهوه لادخال الحيوانات فى السفينة وقدرها أسبوع واحد ، أو كانت الحيوانات هى التى قدمت بنفسها الى السفينة ؟

وكيف قفزت الحيوانات التى لا تحسن السباحة من قارة الى أخرى ، وكيف كانت تلك الحيوانات تحصل على قوتها فى الطريق ؟

وكم سنة أمضاها الحيوان الكسلان فى مسيرة ما يربى على ١٠٫٠٠٠ كيلومتر من أمريكا الجنوبية الى العراق وهو لايستطيع أن يقطع أكثر من ١٥ مترا فى اليوم ؟

وكيف تسنى لنوح أن يودع السفينة كل هذا الحشد الضخم من الحيوانات فى أسبوع واحد .

٥ ـ ما عدد الحيوانات التى استصحبها نوح من كل نوع حتى يحتفظ بمختلف الأنواع ؟ ٢ أم ٧ أم ١٤ ؟

اننا نجد بادىء الرأى أمرا صريحا الى نوح بأن يسلك السفينة من كل زوجين اثنين .

« من كل ذى جسد اثنين . من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك . تكون ذكرا وأنثى » تكوين ٦:١٩

ثم نجد بعد ذلك أمرا مخالفا لما تقدم يقول

« من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وانثى . ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكرا وانثى . ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وانثى » تكوين ٧:٢ ـ ٣

اذا أخذنا بالنص القائل بأن نوحا حمل معه ١٤ أنموذجا من كل نوع من أنواع البهائم والطيور الفينا ان ذلك يزيد فى عدد الحيوانات التى أقلتها السفينة بحيث يجعلها بحاجة الى سفينة مترامية الاطراف تبدو ازاءها سفينة نوح بأبعادها المعروفة أشبه شىء بقوارب النجاة ، واذا قبلنا النص القائل بأنه لم يأخذ

معه سوى زوجين (أى اثنين) من كل نوع ارتطمنا فى المحظور عندما يصعد نوح محرقاته عقب انحسار الطوفان .

« وبنى نوح مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا » تكوين ٨ : ٢٠ ـ ٢١

٦ ـ كم يوما لبث تدفق الطوفان ؟

« كان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة »

تكوين ٧ : ١٢

ولم تزل المياه المنهمرة تطمو حتى غمرت الأرض كلها وحجبت قنة افرست الشاهقة بجبال هيمالايا (ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ٨٫٨٤٠ مترا) ، وكانت المياه تعلو بمعدل ٢٢٥ مترا فى اليوم أى ما يزيد على ١٠ أمتار فى الساعة .

لقد خلق الله الكون كله فى ٦ أيام ولكنه استنفد فى اغراق الكوكب الأرضى وحده ٤٠ يوما .

وبقيت المياه محتفظة بمنسوبها المرتفع زمنا غير قليل

« وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه » تكوين ٨ : ٣

وهذا يفيد أن الطوفان انتهى بعد ٥ أشهر ، وانها لفترة كافية لاستئصال شأفة الجنس البشرى وشأفة سائر الحيوان ، بيد أننا نجد عند متابعتنا القراءة ان الكارثة دامت ٣٢٧ يوما وان لم نتبين وجه الحكمة فى اطالة هذا المشهد الفاجع .

٧ ـ كيف استطاعت هذه السفينة الساذجة البناء المحدودة السعة أن تضم جميع النماذج الحيوانية المتكررة مع عظم عددها؟ ان ما نعرفه من أنواع الحشرات وحدها يربى على ½ مليون نوع، وبين الحيوانات المنقرضة ما كان يتسم بضخامة الجرم .

وعلى أى أساس انتخب نوح الزوجين او النماذج المتعددة للانواع الحيوانية التى أقلتها سفينته ؟ هل اختار أقوى الحيوانات او أجملها او هو التقطها كيفما اتفق ؟ وهل كان ثم حيوانات لم يقع عليها لاختيار فى تلك المباراة للجمال وكمال الأجسام ؟

وهل عادت تلك الحيوانات الى أوطانها فى مختلف الأصقاع القطبية والاستوائية وما بينها أو هى هلكت بالطوفان ؟

وهل قدر نوح أن تكون الاناث غير حوامل حتى لا تورثه دوارا وتسبب لسفينته متاعب هى فى غنى عنها ؟

وكيف استطاع، ولم يكن مجهزا بمجهر ، أن يميز بين الذكر والأنثى من الحشرات وما فى حكمها ؟

٨ ـ لئن كانت السفينة لا تتسع لمئات الألوف من الحيوانات انها لأحرى ألا تتسع لما يكفيها من طعام وشراب طوال مكثهـــا فيها ، وان الحيوان ليحتاج من العلف والماء فى العام الى ما يزن اكثر من عشرة أمثاله .

وجدير بنا أن نلاحظ فوق ذلك تعدد ألوان العلوفة اللازمة لمختلف الحيوانات ، فالعواشب تتقوت بالعشب . والواحم من السباع تفترس آكلات العشب . ومن الطيور الجارحة ما يأكل البغاث وما اليه من صغار الطير ، ومن الطير ما يلتهم السمك والديدان والحشرات وما الى ذلك ، والحرباء تأكـــل الذباب ، وأسد النمل يزدرد النمال ، والنحلة تتغذى برحيق الأزهار ، اما الزواحف العملاقة فقدكانت تستنفد فى غذائهاغابات بأكملها

٩ ـ لقد حمل نوح معه نماذج حيوانية ولكنه نسى أن يحمل معه نماذج نباتية فكيف وجدت الحيوانات بعد انحسار الطوفان ما تقتاته وقد اهلك الطوفان نبات الأرض وحيوانها ؟ وهل كـان من الممكن أن تبقى الأشجار متأصلة فى مغارسها وقد أذاب الماء الثرى من حول جذورها ؟ وهل كان من الممكن أن تحتمل الأشجار وقر كيلو مترات من الماء لا يقل ضغطها عن ٨٠٠٠ر طن عـلى كل متر مربع ؟

لسنا ندرى كيف ثابت الحياة الى عالم النبات ، ولكنا نفرض ان الأمر استلزم سنة حتى تنبت الأرض ما يكفى لعلف آكـلات العشب من حيوانات السفينة ، ومعنى ذلك انه كان على نـوح ان يحمل مع تلك الحيوانات ما يقوم بأودها سنتين لا سنةواحدة، وهذا يعدل وزنها ٢٠ مرة أو ٣٠

انا لنرثى لنوح واولاده وزوجاتهم فقد كان عليهم ان يقوموا بأعمال سواس للدواب ومروضين للوحوش وحواة للثعابين وان يؤلفوا بين الحيوانات المتعادية بفطرتها (كالذئب والكلب) ، وكان عليهم ان يكسحوا أروث الحيوانات وأبوالها ويلقوا بها من النافذة الضيقة التى ليس ثم غيرها فى السفينة ذات الطبقات الثلاث . ولا ريب ان الروائح الخبيثة كانت تنبعث بقوة فى ذلك الاصطبل الطافى فوق العباب فتزكم آناف نوح وعترته . ولعله كان عليهم ايضا ان يقوموا بتكييف الهـــواء على نحو ما ليهيئوا لمختلف الحيوانات ما يلائمها من الأجواء .

١٠ ــ ما الذى كان من امر الحيوانات التى لا تطول آجالها اكثر من بضعة اسابيع او بضعة ايام ؟ ان الذباب يعيش فى طورالحشرة الكاملة أقل من شهر وتستغرق دورته الكاملة ما دون الشهرين ، فهل ماتت الذبابتان اللتان اصطفاهما نوح قبل ان تربا البر ؟

وهل انتجتا قبل موتهما ٥٠٠ ذبابة جديدة تبيض كل منها فيها من الاناث ٥٠٠ بويضة تخرج منها ٥٠٠ ذبابة أخرى وهكـــذا دواليك فلا ينتهى الطوفان بعد سنة وبضعة أيام حتى تكـون السفينة قد أصبحت تعج بالذباب .

١١ ــ ماالذى صار اليه امر السمك والحيوانات البحرية التى تعيش فى الماء العذب الفرات وتلك التى تعيش فى الماء الملـح الأجاج بعد ان امتزجت مياه البحار بثمانية أمثالها من ميـــاه الأمطار لكى تحجب قنن الجبال ؟ اغلب الظن ان كثرة من ذلك السمك قد هلكت وهلكت معها سائر الحيوانات البحرية بعد ان أصبحت المياه التى تحتويها غير ملائمة لحياتها .

١٢ ــ من اين انسابت كل تلك المياه التى غمرت الكوكبالأرضى والتى بلغ سمكها ٩ كيلو مترات .

« انفجرت كل ينابيع الغمر وانفتحت طاقات السماء »
تكوين ٧ : ١١

ترى اين هذه الينابيع ؟

يتوهم الكاتب الموحى اليه ان فى قيعان البحـــار ينابيع فى طاقتها أن تفيض بمقادير غير محدودة من الماء مدخرة فى مستودع مركزى بباطن الأرض .ولكن كيف تنبثق المياه من الينابيع الى الأعلى ؟ ان العلم ينكر هذه الينابيع ويقول بانه اذا صح أن فى باطن الأرض مستودعا مركزيا لمادة ما فانما تفعمه النار ان السائلة لا الميـــاه .

ويتوهم الكاتب الموحى اليه كذلك أن ثم مقادير هائلة من الماء مودعة فوق ذلك الجسم الصلب الذى يدعونه الجلد يعنون بـــه قبة السماء .

« وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه وليكن فاصـــلا بين مياه ومياه . فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد . وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء » تكوين ١ : ٦ــ٨

وهذه المياه العليـــا هى التى تهطل عندما يمطر الناس ، فاذا رضى الله عن عبادة الصالحين تفرج لهم عن قدر من هـــذه المياه تروى غلتهم وتنمى غلتهم .

ولما حزم الله رأيه على اغراق الأرض فتح النوافذ التى فى الجلد على مصاريعها فانصب الماء منها بقوة عارمة وارتفعت مياه البحر حتى طمت على كل طود عظيم .

اننا نعلم اليوم أن الأمطار انما يسحها السحاب وأن السحاب ان هو الا بخار المياه المتصاعد من متون البحار ، فاذا ما مطرت السماء ارتدت المياه الى البحار ثم تكرر صعود البخـــار وهطول الأمطار دون أن يرفع ذلك من مستوى سطح البحر قلامة ظفر ، وهو أمر كان الشاعر العربى على بصر به حيث قال

كالبحر يمطره السحاب وما له ... فضل عليه لأنه من مائه

ولكن كتاب التوارة كانوا يجهلون قوانين التبخر

١٣ ــ ومهما يكن من أمر المنبع الذى مج تلك الأمطار الدافقة فأين ترى تسربت تلك المقادير الهائلة من المياه عنـــدما انحسر الطوفان عن اليابسة ؟ ان تصوب تلك المياه اى نزولها من عـــل

أمر يمكن للعقل تصوره وان كان العلم ينكره ، أما تصعدها الى عل فأمر يجل عن التصور .

١٤ ــ وقد هامت السفينة على وجه الماء شهورا طوالا ثم غاص الماء واستقرت السفينة على جبال أراراط بأرمينيا (على مقربة من حيث ينبع الفرات) .

ولم يتبين نوح أحسر الماء عن اليابسة أم هو ما فتىء ينحسرها، ولهذا أطلق بعض الطيور تستجلى له ذلك ، بادئا بالغراب النوحى

((وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت اليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها . فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضا سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه أيضا))

تكوين ٨ : ١٠ ــ ١٢

وشجرة الزيتون التى آتت الحمامة نوحا بورقة منها ، كيف تأتى لها أن تبقى سليمة وقد ظلت أكثر من سنة تحت مياه سمكها كيلو مترات تضغطها ضغطا ماحقا مع ما نعرفه من رقة شجر الزيتون تحمله ؟

١٥ ــ كيف رجعت الحيوانات من جبال أراراط المجللة بالثلوج (لأنها فوق خط الثلج الدائم اذ أنها تعلو مستوى سطح البحر بأكثر من ٤ كيلو مترات) الى مواطنها الأول فى متباين القارات ؟ وكيف اهتدت الى تلك المواطن حيث كانت تعيش بنات أجناسها ؟ وكم سنة استغرقتها الحيوانات الوئيدة السير فى مآبها آلاف الكيلو مترات والباقى من عمرها لا يفى بذلك ؟

*

من العسير أن يجيب المرء عن أى من هذه الأسئلة باجابة مقنعة، فقصة الطوفان اليهودية لا تقبل دفاعا ولا يسلم بصحتها فى الوقت الحاضر الا رجل يفكر فى القرن العشرين بعد الميلاد تفكير الذين كانوا يعيشون فى القرن العشرين قبل الميلاد ، رجل يتمتع بعقل كعقول الأطفال وتصديق ساذج كتصديق العجائز

برج بابـل

كان الناس ، والبشرية فى طفولتها ، يشعرون بتقاصر انفسهم بين أيدى الآلهة وتحاقرها اليهم ، وقد عبروا عن تلك المشاعر فى مواطن شتى بأساطير مختلفة تقص أنباء جبابرة عصاة طمحوا الى مشاركة الآلهة فى السماء أو نفيهم منها فابتلى الآلهة أولئك الجبابرة التاعسين ببلبلة ألسنتهم عقابا لهم على ما اجترحوا من اثم ، ومن ذلك ما يرويه أهل المكسيك نقلا عن أسلافهم الأقدمين من أن أحد الذين نجوا من غائلة الطوفان بنى هرما ليبلغ به أسباب السماء فأوغرت جرأته صدور الآلهة فرموا البناء بشعلة من نار فاتت النار عليه وأصبحت كل أسرة من بناة الهرم تنطق لسانا خاصا بهـــا(١) .

وليست أسطورة برج بابل التى يتناقلها اليهود فى هذا المعنى بعبرية الأصل ، بل هى ــ كالكثير من أساطير التوراة ــ مستعارة بحذافيرها من الكلدانيين ، فقد روى الكاهن الكلدانى بروزس أن الرعيل الأول ممن عمروا الأرض ، وقد كانوا ضخام الأجسام موثقى القوة ، حقروا الآلهة واستسخروا منهم وأقاموا برجا يبلغ رأسه عنان السماء ، وما عتمت الرياح أن ساعفت الآلهة فأطاحت بالبرج(٢) . وأحدث الآلهة بلبلة فى السنة الناس وكانوا قبل يتكلمون لسانا واحدا . ومن المحتمل أن تكون هذه القصة مما كان

---

(١) ومما يسترعى انتباه أن الهرم المكسيكى المدرج يشبه معبد بلوس الكلدونى شبها كبيرا . لقد كان المكسيكيون يعبدون الأجرام السماوية فلا غرو أن نجد مشابه بينهم وبين غيرهم من الشعوب التى كانت تعبد تلك الأجرام . ومن ذلك أن هرم أتهم يتكون من سبع طبقات (مصاطب) وأن فى هرم الجيزة الأكبر سبع غرف هى أيضا رمز لعبادة الكواكب .

(٢) ليس لهذا البرج أثر فى الوقت الحاضر .

الكلدانيون يتذاكرونه عن معبد باوس الشهير الذى لم يتم بناؤه وهو من روائع العمارة .

يذكر الكتاب المقدس أن ذرية نوح كثرها ، وقد كثر عددها بعد الطوفان ، ارتحلت ميممة صوب المشرق الى أن حطت رحالها فى أرض شنعار اى فى بابل فأقاموا بها بعض الوقت ثم .

« قال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ونشوه شيا .
فكان لهم اللبن مكان الحجر . وكان لهم الحمر مكان الطين »
تكوين ١١ : ٣

ويؤخذ من ذلك أن أولئك القوم توصلوا الى اختراع الآجر دفعة واحدة دون أن يتدرجوا فى صناعة مواد البناء فيبدءوا بصنع اللبن المجفف فى أوار الشمس ويشيدوا به منازلهم ردحا من الدهر ثم ينتقلوا خطوة تالية فيشووه فى النار .

ثم تجاذبوا أطراف الحديث و

« قالوا هلم نبن لانفسنا مدينة وبرجا راسه بالسماء ونصنع لانفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض »

تكوين ١١ : ٤

فكيف جال بأذهانهم أن يقوموا بالدعاوة لأنفسهم فى عالم ليس فيه غيرهم وأن يكونوا فيه معلمين ؟ وكيف يحول اشتهار اسمهم وذيوع صيتهم دون تشتتهم فى مختلف أقطار المعمورة ؟ وكيف دار فى أخلادهم أن يبنوا مدينة وهم لم يروا مدينة من قبل ؟ ان المدن تبنى فى قرون ، والمثل الانجليزى يقول ان روما لم تبن فى يوم واحد

ولسنا ندرى ما الذى آلت اليه فكرة بناء المدينة ولهذا نقتصر على قصة البرج

زعم حاخامو اليهود أن ذلك البرج جاوز فى ارتفاعه مئة كيلومتر ومن السهل بناء القصور فى الهواء ، أما نحن فلا يخالجنا شك فى أنه ، على فرض صحة القصة ، كان دون مئة متر

وقد عزا المؤرخ اليهودى يوسفس بناء البرج الى ان « نمرود » بن كوش بن حام بن نوح تكوين ١٠ : ٨ ــ ١٠

اعلن قومه بانـــه سيقتص من الله اذا بدأ له أن يغرق العالم مرة أخرى وأنهى اليهم أنه سيبنى برجا لا ترقى الى ذروته المياه ييسر له أن يثأر من الله لأجداده المغرقين

ويستفاد من هذه القصة أن القوم لم يثقوا بما عاهدهم الله عليه هم والبهائم حين

« كلم الله نوحا وبنيه معه قائلا . وها أنا مقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم ، ومع كل ذوات الأنفس الحية التى معكم . الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التى معكم من جميع الخارجين من الفـلك حتى كل حيوان الأرض . أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان . ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض » تكوين ٩ : ٨ ــ ١١

كان بناة البرج يحلمون بأن يعتلوا متن القبة الزرقاء وكانوا يخالونها جسما صلبا ألصقت بباطنه الشمس والقمر والنجوم ويحسبونها لا تعلو كثيرا على مستوى السحب

ان الذين أوتوا خطا من العلم يضحكون من هذا الحلم لأنهم يعلمون أن بناء برج يصل الى القمر ، وهو أقرب الأجرام السماوية منا وتعد الشقة بيننا وبينه كقفزة البرغوث بالقياس الى ما بيننا وبين الأجرام السماوية الأخرى ، يقتضى أن تنبسط قاعدة هذا البرج حتى تغطى وجه الكرة الأرضية كله وان تستعمل فى بنائه مواد تماثل المواد التى فى كتلة الكرة الأرضية خمسين ضعفا

لقد كشف الذين دونوا هذه القصة عن جهالة عمياء ، وحاشا لله جل جلاله أن يكون على غرارهم فى الجهالة فيذعره ما أجمع القوم عليه من غزوة فى علياء سمائه حتى انه لم يلبث ان

« نزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما » تكوين ١١ : ٥

من أين نزل ؟ أليس هو فى كل مكان ؟ وفيم نزوله ؟ هل كان كليل الطرف وكان يعوزه منظار مقرب فلم تتسن له الرؤية من بعد ؟

وهل اعتقد أن القوم قادرون حقا على امضاء ما بيتوا النية عليه ؟

« وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد . لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالفعل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعلموه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضه م لسان بعض »

تكوين ١١ : ٦ ـ ٨

لقد عنى نفسه عناء ما كان أغناه عنه ، فهل نسى قانون الجاذبية ؟ هل جهل مهندس الكون قواعد البناء ؟ هل غاب عن وعيه أن بناء قاعدته ذات سطح معين لا يمكن أن يعلو فوق ارتفاع معين ؟ الا انه لو ترك القوم يتمادون فى البناء لانقلب (البناء) على رءوسهم ، فما باله سبحانه قد اضطرب وعظم بلباله ؟

السبب هو أن هذا الرب لم يكن الا يهوه ، اله قبيلة من الهمج لا يعلم أكثر مما يعلم عابدوه

*

وقد أدلى الكتاب المقدس فى هذه القصة بسبب لاختلاف اللغات وتعدد اللهجات على وجه المعمورة لا يرى فيه علم الموازنة بين اللغات الا أوهاما لا تمت الى الحقيقة بنسب ، فقد زعم

١ ـ أن الجنس البشرى كان الى ما بعد الطوفان بفترة من الزمن والى قبيل مولد أبراهام ينطق كله لسانا واحدا

٢ ـ وأن الحال كانت على أن تظل كذلك لولا تلك المحاولة لبناء البرج

٣ ـ وأن جميع لغات الأرض ولدت فى بابل من اللغة الأم ـ وهى العبرية ـ ولادة خارقة للعادة بمعجزه

٤ ـ وأنه ليس بين لغات الأرض جميعا لغة تبلغ من العمر خمسة آلاف سنة غير اللغة العبرية

وليست هذه المزاعم بعجيبة من قوم يجهلون سنن التطور وينكرون نظـرية النشوء والارتقاء ، وانهـا لتجافي الحقائق العلمية المسلمة ، ومنها أن لغات أمريكا الأصلية ، على ما بين احداها والأخرى من وثوق أواصر القربى ، مبتوتة الصلة بلغات العالم القـديم ، وليس ثم ما يـدل على انها موروثة عن العبريين أو الفينيقيين أو الكلدانيين أو غيرهم

ليست اللغة شيئا نصنعه الآلهة وتبثه فى أذهان الناس وانما هى تنشأ وترتقى تدريجا فى بطء خلال أزمنة طويلة ، فان القبائل والشعوب قد عضتها خطوب وحكتها محن وتجارب مختلفة وشعرت باحتياجات متباينة واكتنفتها بيئات غير متماثلة وعلقت بأذهانها انطباعات مما رأت وسمعت وشمت وذاقت ولمست ، ومن ثم اختلفت لغاتها وتباينت تصوراتها الدينية ونظمها السـياسـية وعاداتها الاجتماعية وتتركب لغات الهمج من أصـوات قليلة لا يستطاع التعبير بها عن شىء غير افكار أو حالات عقلية محدودة كالحب والاشتهاء والخوف والكره والازدراء ، أما اللغات التى تصلح للافصاح عن أفكار مركبة فلابد لنموها من قرون كثيرة .

وقد جاء فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين أن الله عرض جميع أنواع الحيوان بين يدى آدم وأن آدم جعل يطلق على كل منها اسما من عنده ، فمن أين جاء آدم بهذه الأسماء وهو مايزال حديث العهـد بالخـروج من التراب غـرا خاوا من التجـارب والانطباعات ؟

وكيف حدث أن أصبح هو وحواء والحية يتكلمون لسانا واحدا ؟ لقد زعموا ان آدم كان يتكلم العبرية فى جنة عدن

« ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى »
تكوين ٣ : ٢٠

وان حواء تكلمت بها بعد خروجها من الجنة

« وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب » تكوين ٤ : ١

« وعرف آدم امرأته أيضا ، فولدت ابناودعت اسمه شيشا ، قائلة لأن الله قد وضع لى نسلا آخر عوضها عن هابيل » (٣) تكوين ٤ : ٢٥

وان لامك بن متوشالح تكلم بها قبل الطوفان بستة قرون

« ودعا اسمه نوحا ، قائلا هذا يعزينا عن عملنا وتعب ايدينا من قبل الأرض التى لعنها الرب »

تكوين ٥ : ٢٩

وكانت أسماء البطارقة العشرة السابقين للطوفان كلها عبرية

من الخطل أن يأخذ المرء بما يفهم ضمنا من الكتاب المقدس من ان اللغة العبرية هى لغة العالم الأصلية اذ انها ليست سوى لهجة من اللهجات السامية شأنها فى ذلك شأن اللغة العربية واللغة الآرامية . وليس ثمة وشيجة قربى تربط اللغات السامية باللغات الآرية

« هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض » تكوين ١١ : ٧

ولكن كيف بلبل الله السنتهم وشوش لغاتهم ؟ هل أفقدهم حافظتهم ؟ هل شل جزءا من أمخاخهم ؟ هل ضرب على أعضاء النطق عندهم حتى لا تؤدى النبرات والأصوات التى فى اللغة القديمة ؟

ولم أفضى تبلبل السنتهم الى أن

« بددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة » ؟ تكوين ١١ : ٨

ولماذا لم يتلبثوا الى أن يفهم بعضهم بعضا بوسيلة من الوسائل؟ ان ما كانوا عليه من الضعف والعجز قمين أن يجعل كلا منهم يحس

---

(٣) اى أن اسم شيث يعنى عوض الله

الحاجة الى عون أخيه ، وكان الاستمرار فى بناء البرج أيسر من الهجرة الى غير غاية .

« لذلك دعى أسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض » تكوين ١١ : ٩

فياله من تخريج عجيب !

ان كلمة «بابل» لا تتصل البتة بكلمة « بالال » العبرية التى تعنى شوش أو خلط (٤) ، وتدل الشواهد على أن هذا الاسم أصله «باب ايل» أى باب الرب

وكم من اسطورة من أساطير العبريين وغيرهم مبعثها اشتقاق لغوى خاطىء .

---

(٤) نجد فى الانجليزية أن كلمة Babel تعنى بابل أو جلبة أو جمهورا من الناس يتكلمون دفعة واحدة ، وقد اشتقوا منها Babelish أى مبلبل أو ذا جلبة وتشوش Babelism ومعناها كلام مشوش أو لغط و Babble ومعناها ثرثر أو هذرم وتماثلها فى الالمانية Babbeln

محتويات الكتاب

صفحة

نشوء العقيدة الدينية

١ ـ حيرة الانسان البدائى	٥
٣ ـ الروح	١٠
٣ ـ الطوطم والتابو	١٥
٤ ـ التمائم والأوثان	١٨
٥ ـ الآلهة	٢٣
٦ ـ السحر عند الوثنيين	٢٤
٧ ـ السحر عند العبريين	٢٧
٨ ـ التابو وليد الايمان بالسحر	٢٨
٩ ـ الوصايا العشر	٦٣
١٠ ـ جهالة العبريين	٦٧
١١ ـ الاساطير	٧٧
١٢ ـ أنبياء بنى اسرائيل	٨٠
١٣ ـ يهوه	٩٤
١٤ ـ صفات يهوة	١٠٠
١٥ ـ الضحايا البشرية	١١٠
١٦ ـ اله فى صندوق	١١٤
١٧ ـ مضى اليهود فى عبادة الأوثان	١١٩
١٨ ـ فى سبيل التوحيد	١٢٥
١٩ ـ نشأة الوحدانية فى مصر	١٣٤
قصة الخلق	**١٣٨**
قصة الطوفان	**١٦٨**
برج بابل	**١٨٣**

الترقيم الدولي ٣ ـ ١٥ ـ ٧٢٠٠ ـ ١٩٧٧ ISSBN
رقم الايداع ٧٧/٤٢٧٤

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين